الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية: الآداب واللغات

قسم: الفنون

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في: الفنون التشكيلية

والموسومة بعنوان:

الأبعاد الجمالية لفن التصوير الجداري في الجزائر

جداريات السيراميك أنموذجا

إعداد الطالبة:
بلعيد شميناز

إشراف الأستاذ:
د. رياض بن شعيب

لجنة المناقشة		
د. حبيب بن مالك	جامعة تلمسان	رئيسا
د. رياض بن شعيب	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. محمد بدير	جامعة تلمسان	ممتحنا

السنة الجامعية 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روحي التي لم أخذلها ووفيت بعهدي لها

إلى من غمرتني بحنانها و أنارت قلبي بفيض دعائها

إليك أمي

إلى من شقى من أجل أن يفتح لي درب الحياة

إلى من انتظر و أمل في هذا النجاح بفارغ الصبر

إليك أبي

إلى إخوتي و عائلتي الكريمة بكبيرها و صغيرها

إلى

أساتذتي وكل طاقم الجامعة الذي سهر على نجاحنا

إلى كل من قدم لي يد العون ودعمني ماديا و معنويا

إلى كل من علمني و ساندني طوال مشواري الدراسي

بلعيد شهيناز.

شكر وتقدير

قال الله تعالى في سورة النور بعد باسم الله الرحمان الرحيم

"و لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع العليم" سورة النور الآية 32

بداية كل شيء نشكر الله عز و جل على نعمه علينا ونخص بالذكر نعمة العلم والاجتهاد فيه فالحمد لله كثيرا طيبا ومباركا فيه والشكر لله كثيرا ومن تمام شكر الله أن أتقدم بأسمى كلمات الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور **"بن شعيب رياض"** على كم المساعدة التي جاد بها علي وإلى رئيس قسم الفنون الأستاذ السعيدي على مساندته الدائمة وخدمته لجميع الطلبة و إلى الأساتذة الذين رافقونا طوال مشوارنا الدراسي والذين لم يمنوا علينا بالعلم فعلمونا وأضافوا إلى رصيدنا المعرفي كما من المعلومات والتوجيهات وإلى جميع عمال الإدارة و المشرفين.

نهدي هذا العمل إلى كل من يريد ويطلب المعرفة والتطور راجين من الله أن يحفظنا ويوفقنا جميعا.

بلعيد شهيناز.

مقدمة:

إن تاريخ الفن هو مرآة لتاريخ المجتمع ومادام المجتمع كيانا متغيرا يسعى وراء الحقيقة والحرية والجمال فان الفن هو جوهر كل القيم الخالدة وهو عبارة عن تفاعل انساني يهدف الى خلق او انتاج قيمة جمالية، يعتبر الفن أقدم لغة عند الإنسان رسم و لون حتى قبل أن يتكلم و اعتبر الفن المتنفس الوحيد له فقد كان الإنسان البدائي يعيش في ضغوطات حولها لتصوير كان يرسمه في الكهوف من رسومات حيوانات و أيادي و مشاهد صيد ثم أصبحت الرسومات أكثر تعمقا و دقة فرسم حياته اليومية و بعضا من جوانب الطقوس الدينية التي تشير إلى بداية التأمل الديني و الروحي و اعتقد بقدراتها على حمايته ودفع الشرور عنه فكان بذلك أول مصمم للجداريات في تاريخ البشرية و رغم تعدد الحضارات والثقافات و الأزمنة والأفكار ظل التصوير الجداري طريقا هاما للتعبير عن الرأي والمشاعر والأفكار، ومنه فإن فن التصوير الجداري بشكل خاص هو واحد من حقول الفن التشكيلي وهو لغة أوجدها الإنسان منذ القدم لتدوين حياته و إعلام الآخرين بوجوده، يخدم العديد من الأغراض و الوظائف منها: التواصل و التأثير، التعبير الفردي والتعبير عن الذات، التعبير عن المجتمع والثقافات، الابتكار و التحفيز الفكري، المحافظة على التراث وتسجيل التاريخ، وهو ينقسم لعدة أشكال و أنماط نذكر منها التصوير الجداري بالخزف أو السيراميك و هو فن عرف منذ القدم و ذاع صيته منذ العصور و الوسطى بالخصوص في الحضارة الإسلامية.

*<u>إشكالية البحث:</u>

مما سبق ذكره تتبادر لأذهاننا إشكالية رئيسية تتمحور حول:

ما هو فن الجداريات و ماهي أبعاده الجمالية وكيف هو في الجزائر؟

ما هو فن السيراميك و جماليات جداريات السيراميك؟

وهذه الإشكالية الرئيسة تقودنا بدورها لجملة من التساؤلات الفرعية التي تندرج تحتها وهي:

- كيف كانت بدايات الفن التصويري الأولى و كيف تطور عبر الزمن؟
- ما هي مميزات التصوير الجداري عبر كل مرحلة وكل حضارة

- ما هي القيمة الجمالية في فن التصوير؟

- في ماذا تتمثل تقنيات التصوير الجداري؟

- ما هو فن الخزف او السيراميك وما هي العوامل المؤثرة فيه؟

- كيف كانت بدايات الفن الجداري في الجزائر و في ماذا تمثلت التأثيرات الخارجية عليه؟

***فرضيات البحث:**

ومن الفرضيات المقترحة بخصوص إشكالية الدراسة هي:

- تطور الفن الجداري مع تطور الإنسان

- في العصر البدائي لم يعتبر التصوير فنا بل كان عبارة عن خربشات وآثار للأيادي.

- تنوعت تقنيات التصوير بتنوع المكان و الثقافات و المواد في كل منطقة.

- فن الخزف من الفنون القديمة المحقورة والتي لم تأخذ حقها.

- كانت بدايات التصوير منذ القدم في المنطقة كدليل متحف الطاسيلي و تيوت.

- تأثر الفن التشكيلي عامة والفن التصويري خاصة في فترة الاستعمار والمستشرقين والعشرية السوداء.

***أهداف و أسباب اختيار الموضوع:**

التعريف بالتصوير الجداري و تقنياته.

إلقاء الضوء على التصوير بالسيراميك و الخزف.

دراسة التصوير الجداري في الجزائر ومعرفة أهم المؤثرات فيه.

دور التصوير الجداري في المجتمع.

الحصول على شهادة الماستر في موضوع فني يستهويني.

اهتمامي بالتصوير الجداري بأنواعه.

تطلعي و إرادتي في معرفة أكبر كم من المعلومات في مجال التصوير.

***منهج الدراسة:**

ولدراسة هذا الموضوع اتبعنا المنهج التأريخي لقدرته على سرد الحقائق التاريخية وضبط تسلسلها عبر مختلف الحقب والأزمنة، وكذلك المنهج الوصفي التحليلي نظرا لشموليته الكبيرة و أيضا لما تستدعيه الدراسة من وصف للنماذج المختارة من لوحات جدارية.

*هيكل الدراسية:

للإجابة على الإشكاليات السابقة و التساؤلات المطروحة لقد قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة و فصلين و خاتمة عامة، حيث عنونّا الفصل الأول بتاريخ التصوير الجداري وتطرّقنا فيه إلى البدايات الأولى للفن الجداري وأنواعه وتقنياته، واختلافه وتطوره عبر الحضارات ثم عرفنا عن بعض أشهر الفنانين الجداريين و بعض من أعمالهم الجدارية. أما الفصل الثاني فقد عنونّاه بجماليات فن التصوير الجداري في الجزائر، فتطرقنا فيه لتاريخ التصوير الجداري في الجزائر و ذكرنا تأثيرات التي قامت عليه وأهميته في المجتمع، ثم فصلنا في فن السيراميك و العوامل المؤثرة في تصميم و تنفيذ جداريات السيراميك لنذيل البحث بخاتمة احتوت جملة ما توصّلنا إليه من نتائج تجيب عن الإشكالية المطروحة.

صعوبات الدراسة :

من الصعوبات التي اعترضتنا خلال البحث هي مشكلة العثور على مراجع في المكتبات القريبة خصوصا في الجامعة تفيد في جانب التصوير في الجزائر، و كذلك صعوبة الحصول على كتب إلكترونية، فاستعننا بشكل أساسي بالمقالات و المواقع الإلكترونية. كذلك نقص المعلومات فيما يخص بعض الجزئيات الأمر الذي أطال فترة البحث عن بعض معلومات، وكذلك كثرة المراجع و المعلومات في التصوير الجداري عبر العصور و التي في بعض المعلومات كانت متعاكسة تماما مما أدى إلى عدم معرفة و التفرقة بين الخاطئة و الصحيحة.

ورغم الصعوبات إلا أننا تلقينا المعونة من الأستاذ المشرف و التوجيهات و المساندة لذا أتقدم بكم من بالشكر للأستاذ "رياض بن شعيب" لمساندته و مجهوداته في كل مرحلة من مراحل البحث ولم يبخل علي بوقته الثمين وبنصائحه وإرشاداته القيمة.

تم إنهاء البحث بتاريخ: **2023/06/24** على الساعة 21:00

بلعيد شهيناز.

الفصل الأول:

تاريخ فن التصوير الجداري

تمهيد:

رافق الفن الإنسان منذ ما قبل التاريخ وكان أنيسه وملاذه للتعبير فيختلف التعبير عموما بين الكتابة والرسم فبداية عند الإنسان الأول رسم قبل أن يعرف الكتابة و يعد الفن البدائي أول لغة مكتوبة في تاريخ الإنسان، فكان التصوير الجداري مُلازماً له منذ نشأته. وجد فيه ملاذاً للتعبير عن ذاته وما يراوده من أفكار وأسئلة وجودية وغيبية، وكان برسوماته المبسطة يوثق ويدون معتقداته وطقوسه ونشاطاته و حياته اليومية و معيشته من الناحية الاجتماعية والعقائدية وحتى الاقتصادية و كذلك شعائره، فحاكى ما تحتويه بيئته على جدران الكهوف وسقوفها مستفيداً من طبيعة أسطح الجدران الغير منتظمة في تطوير محاكاته للواقع في أشكاله المرسومة .عادة ما تصور الجداريات فعاليات الشعوب في حضارة ما، عبر تجسيد لحظة زمنية تروي مشاهد تتراوح بين الصيد والتجمعات والحياة الأسرية، وصولاً إلى المشاهد الدينية والجنائزية. ازدهر في العصور القديمة و تغيرت أساليبه الفنية مع تغيرات طبيعة الإنسان و الشعوب ثم تباين بين الحضارات في الشرق و اختلف من حضارة لأخرى وأخذ أسلوب التصوير الجداري يتغير مع المتغيرات الزمنية والسياسية و الاجتماعية المختلفة.

ولم تقتصر اللوحة الجدارية على أنها تشغل الجدران الداخلية للمساكن أو القصور أو دور العبادة فقط، بل امتدت إلى أبعد من ذلك إلي جدران خارجية مستوية أو في شكل مجسمات بالميادين وعلى الرغم في نطاق يتفق مع هندسة أساسيا من اختلاف حلولها وتعدد أساليبها ومواضيعها، إلا أنها تمثل دورا المنشأ المعماري ووظيفتها النفعية والجمالية في حياة الإنسان.

المبحث الأول: البدايات الأولى لفن التصوير الجداري.

المطلب الأول: نبذة عن بدايات الفن الجداري.

تم استخدام الجداريات لعدة قرون للتعبير عن المشاعر ونقل الرسائل. من لوحات الكهوف المبكرة إلى جداريات العصور الوسطى ، فكانت دائمًا وسيلة للتعبير عن مشاعر المرء وأفكاره و العديد من الكهوف في العالم أكدت أن الفن الجداري هو أقدم الفنون التي عرفها البشر ليصبح الإنسان البدائي أول مصمم جداريات.

- تصوير الجداري mural painting:

يقصد بالتصوير الجداري هو كل عمل فني مرتبط بالعمارة و ملتصق بها سواء كان ذلك على الأسقف أو الجدران أو الفتحات المعمارية و ذلك بأي خامة يتسنى للفنان استخدامها[1]

- ما هو التصوير الجداري؟

تواجد التصوير الجداري على شكل لوحات نُقشت على جدران كهوف المناطق التي استوطنها الإنسان قديماً، ففي العصور البدائية، كان الإنسان يعتقد بأن هذه النقوش ستحميه من الشرور، كذلك كانت طريقته في التعبير عن أفكاره ومحاولة فهم ما يجري من حوله، لتكون النتيجة نقوش بسيطة تعكس بيئته ونشاطاته ومعتقداته، لاحقاً، استُغل هذا الفن لخلق الوعي بقضايا عامة، فيما استغله البعض لتعزيز الهويات السياسية والمجتمعية، كالنقد مثلاً. عدا عن ذلك، للتصوير الجداري علاقة وطيدة بالهندسة المعمارية والفنون الجميلة، وبالتعمق بكلمة "جدارية"، نجدها مشتقة من الجذر اللاتيني murus، وبمفهوم فني، تعرّف الجدارية بأنها قطعة من الأعمال الفنية المطلية أو المطبقة تقنياً على سطح جداري، أما اللوحة الجدارية في الفنون الجميلة، فهي رسم يطبق مباشرة على سطح الحائط أو السقف، أو يتم رسمه على قماش ويثبت بعدها. [2]

---

[1] د. منى مصطفى عليوة, الجداريات التجريدية بين الامس و اليوم, دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر, الإسكندرية, 2021,ط1, ص9

[2] انواع و مفهوم الفن الجداري sayidaty.net

عندما بدأ الإنسان يرسم على جدران الكهوف أو ينقش على الصخور بأدوات حجرية أشكاله البدائية كان لا يعلم أنه شرع في تدوين تاريخه على هاته البسيطة آلاف السنين قبل ظهور الكتابة وأن تلك الأشكال الآدمية والحيوانية وغيرها هي بصماته الأولى في هذا الكون العجيب.

وكان للفن دور فعال في رسم ما يُعجب وما يخيف يمتزج فيه الواقع بالخيال والحقيقة بالأسطورة وظلت التصاوير والرموز تقوم بمفعول السحر في الأفراح والأتراح لزينة الأحياء والأموات إلى يوم الناس هذا. وكلما تطور الإنسان رافقته الفنون بأساليبها ومذاهبها المتغيرة تلازم محطاته الفكرية والإجتماعية والسياسية. كما أن الملوك والأباطرة منذ فجر التاريخ كانوا يؤرخون لحروبهم وغزواتهم بالرسم والنحت حتى حظي الرسامون عندهم بمكانة إجتماعية مرموقة، لأنهم كانوا خير مترجم عن خصوصيات تلك المجتمعات وأفضل معبر عن مخزونها التراثي بمدلولاته الدينية أو الوضعية على مر العصور, كما رأى بعض رجال الدين و كانوا مؤمنين أن الصورة هي لغة الجاهل لأن من لا يعرف القراءة و الكتابة يجد في الصورة خير معين على فهم الرواية و مقصد راويها و إن صح القول فإن التصوير الجداري هو اللغة الوحيدة التي يمكن تداولها و تبنيها في أي عصر كان منذ بداية البشرية.[1]

كانت الرسوم ترسم بالفحم والصباغ الطبيعية التي تتكون من أكاسيد الحديد والمنغنيز واستخدام العظام المحروقة في تحضير اللون الأسود.[2]

و من هنا نرى أن نتطرق للبحث عن التصوير الجداري في العصر الحجري القديم و التي تميز بدوره لعدة مطبات.

أولا: العصر الحجري القديم:

تعد أولى الحقب الزمنية لما قبل التاريخ، تميزت باستعمال الحجر المنحوت والذي بدأ الإنسان في صقله و تطويعه منذ ثلاثة ملايين سنة قبل الميلاد. يمتد هذا العصر من حوالي

[1] بتصرف, حسن بوساحة, تاريخ الفن, اوراق للنشر والتوزيع, الجزائر,2009, ط1,ص38

[2] سلوى محسن حمد عبدالغني, جماليات رموز البيئية في الفن الجداري المعاصر, مجلة جامعة بابل, 2016, المجلد24, العدد4, ص75

23 إلى 100 آلاف سنة قبل الميلاد بدأت مظاهر الفن عند الإنسان حين ذاك بالرسم على جدران الكهوف وصناعة تماثيل صغيرة من الصلصال والعظام والعاج، مقلداً فيها هيئة الإنسان والحيوان، أما فن الزخرفة والرسم، أول ما وجد بحاله على سطوح الأواني الفخارية، كانت عبارة عن خطوط وتكوينات شبه هندسية، ومواضيعها مستوحاة من البيئة التي كان يعيش فيها الإنسان مثل رسوم الحيوانات والقوارب في البيئة النهرية و الساحلية أو بعض رسوم الرقص الديني لرجال ونساء.

يقسم العصر الحجري القديم (Paleolithique) لدى الأختصاصيين إلى مرحلة سفلية ومتوسطة وأخرى علوية

1- العصر الحجري السفلي: (Paleolithique inferieur) ظهر أثناءه الإنسان في إفريقيا الشرقية، استعمل خلاله حجرة أكرة (Galet) الصناعة أدوات ذات الاستعمال اليومي.

2- العصر الحجري الوسيط: (Paleolithique moyen) عرف هذا العصر كذلك استعمال الحجر خاصةً منه حجر الصوان (Silex) كان على الخصوص بأوروبا.

3- العصر الحجري العلوي: (Paleolithique superieur) سكن الإنسان خلال هذه الفترة المغارات التي خلف بها رسومات جداريه رائعة كما نحت على العاج ويقسم هذا العصر إلى ثلاث مراحل:

بريغورديني (Périgordien)

أوريغناسيني (Aurignacien)

شهدت هذه المرحلة بداية الإنتاج الفني الذي تمثل في حفر رسوم حيوانية شبه مجردة بخطوط عميقة على الصخور، كما استعمل اللون المغرة والأصداف.[1]

أقرب فن لما هو قبل التاريخ هو مختلف تماما عن ما اكتشف من لوحات الكهوف الجميلة في لاسكو وألتا ميرا, فهي تشبه فننا الحديث بشكل كاف. بل نتحدث عن الأشكال الأولى للتعبير الفني لما قبل التاريخ, و تحديدا بما يعرف بالكبسولات, و هي واحدة من أقدم أشكال الفن ما قبل التاريخ.

[1] نصر الدين بن الطيب, تاريخ الفن, منشورات الريشة الحرة, وهران, 2008, ط1, ص20-21

لكن الشكل الرئيسي لفن ما قبل التاريخ هو الفن الصخري و الذي يشمل

-نقوش صخرية, و تعرف باسم المنحوتات الصخرية أيضا

-نقوش تتضمن علامات مرسومة أو مطلية, و رموز هندسية, و بصمات يدوية

و قد استمر إنتاج الفن الصخري في جميع أنحاء العصر الحجري القديم, و يمكن رؤيته في أوروبا و آسيا و إفريقيا و أستراليا و الأمريكيتين.[1]

ثانيا : العصر الحجري الوسيط:

العصر الحجري الوسيط (Mesolithique) هو عصر انتقالي بين العصر الحجري القديم والحديث ، ويسمى أيضا إيباليوتيك (epipaleolithique) على الخصوص بإفريقيا الشمالية ورغم أن تاريخه متغير حسب الأبحاث والمناطق إلا أنه على العموم يمتد من حوالي 10 إلى 8 آلاف سنة ق.م ولم تعرف هذه التسمية حتى سنة 1909، بعد اتفاق المؤرخين على تصنيفه، حيث كانت من قبل تندرج ضمن العصر الحجري القديم والجديد.

أخذت الأشياء في هذا العصر شكلا و حجما أصغر مما كانت عليه, أما الرسم فكان تخطيطيا وهندسيا لمواضيع يغلب عليها الطابع الروائي يشمل أشخاصاً وحيوانات بألوان حمراء وسمراء،[2] مع أن البشر طوروا نمط معيشتهم في هذا العصر و طوَّروا فيه الفنون، فرسموا لوحات الكهوف ونقوش عديدة لوصف حياتهم اليومية، فبالرغم من كون غالبية مستوطنات العصر هي قُرى تكونت من بيوت الأكواخ ، وقليلًا منها كانت مدن محاطة بأسوار، إلا أنَّ الرسم على جدران الكهوف كان شائعًا في تلك الأيام. وتغير المُناخ خلال العصر الحجري الوسيط بشكل كبير، وهذا انعكس على نمط الحياة والفنون التي انتشرت، ولكن بسبب عدم توفر الطعام بسبب الانتقال البطيء للزراعة والتوطين؛ كان الكثير من سكان هذا العصر يُمارسون الصيد بشكل مُنتظم، ويهاجرون ويستقرون في أكثر من مكان، وهذا انعكس على الرسومات والفنون الموجودة. يصُعب العثور على شكلٍ فني

[1] elakademiapost.com

[2] نصر الدين بن طيب, تاريخ الفن, المرجع السابق, ص28

واحد في العصر الحجري الوسيط، فتداخلت الفنون الحديثة مع تلك الفنون الموروثة من العصر الحجري القديم، ولكن غالبية الأعمال انحصرت في النقوش الكهفية، واللوحات الفنية، والتحف النحتية الصغيرة ومن ثُم الكبيرة منها.

الفن الصخري في العصر الحجري الوسيط اهتم البشر و فنانيه بالفنون الصخرية بشكل كبير، وعُثِّر على عدد كبير من مواقع الفن الصخري في إسبانيا على سواحل البحر الأبيض، وتكونت الفنون الصخرية التي عُثر عليها من شخصيات حقيقية أو متخيلة رُسمت أو نُحتت للإنسان والحيوان، وقد تركزت هذه الفنون في مناطق أوروبا تحديدًا، وكانت مُتقدمة ومُنتشرة بشكل مُدهش. و يعتبر تجسيد مشاهد الصيد هو الأكثر شيوعًا في الفنون الصخرية خلال ذلك العصر، وغالبًا ما كان الإنسان يُصور وهو متوجه لحيوان ما لصيده، ولكن هُنالك بعض التصويرات الأخرى لمشاهد معارك ملحمية، ومشاهد للرقص، ورسم الأدوات الزراعية وطريقة الزراعة، والحيوانات الأليفة، وبعض الحيوانات الميتة، وفي بعضها رُسمت الطريقة السليمة لجمع العسل. أشهر لوحات العصر الصخري الوسيط لوحة (The Dancers of Cogul)، وهي تصور الحركة في فن سكني حجري، وفيها تسع نساء بعضهن باللون الأحمر، وبعضهن باللون الأسود، وهذا لم يكن معهودًا في ذلك العصر، وتظهر رسومات لهن وهن يرقصن بشكل غير طبيعي حول رجل غريب المعالم.[1]

ثالثا: العصر الحجري الحديث:

العصر الحجري الحديث (Neolithique) ويسمى أيضا العصر الحجري الجديد أو الأخير، يمتد من حوالي8 إلى 4 آلاف سنة ق.م هو تحديد زمني يشير إلى حداثة زمنه عن أزمنة الذهول الحجرية التي سبقته ويتميز بصناعات حجرية جديدة.

كما يعرف هذا العصر حضاريا بعصر بداية الإنتاج نظرا لتحول الإنسان فيه وتطوره هذا العصر بدوره قسمه رجال التاريخ إلى مرحلة سفلية وتمتد من 8 إلى 6 آلاف سنة ق.م،

[1] mawdoo3.com

وأخرى علوية وتبدأ بانتهاء المرحلة السفلى لتنتهي في حوالي 4400 سنة ق.م و من آثاره نذكر حجارة الدولمن بإرلندا وأثار الطاسيلي وتيوت بالجزائر.[1]

كما هو الحال في المجالات الأخرى، خضع الفن في العصر الحجري الحديث أيضًا لتطوره الخاص. بادئ ذي بدء، توقفت عن تصوير الصور أو المشاهد الطبيعية وأصبحت أكثر تخطيطية ورمزية.

على الرغم من أن الخبراء يشيرون إلى أن هناك خصائص تعتمد على المنطقة الجغرافية ، يمكن الإشارة إلى بعض الخصائص العامة.

من بينها، يبرز أن موضوع هذه المظاهر الفنية أكثر تنوعًا، حيث يحل الإنسان محل الحيوانات كموضوع مركزي. ومع ذلك، فإن الأشكال المرسومة لم تعد طبيعية وتصبح أكثر رمزية.[2]

[1] نصر الدين بن طيب, تاريخ الفن، مرجع سابق، ص30-31

[2] Ar.warbletoncouncil.org

المطلب الثاني :أنواع الجداريات.

تختلف طرق عمل الجداريات حسب الرغبة و حسب الحاجة و هي نوعان رئيسيان :

1 - جدارية منحوتة على سطح: وهي ما يكون التكوين فيها مشكل حجميا دون استخدام اللون كالجداريات التي تنحت على أسطح الصخور أو على جدران المباني أو القصور التي تبنى من قطع الأحجار الكبيرة وهذا النوع من الجداريات يحتاج إلى وقت عمل طويل بالمقارنة بغيرها وبحسب مساحة ونوع فن الجدارية وغالبا ما يقوم بعمل هذا النوع من الجداريات هم النحاتون .

2- جدارية بالتشكيل اللوني وهي نوعان :

أ- الجدارية الداخلية (التي تكون داخل المبني أو الصالات و القاعات) وفيها إمكانية حرة لاستخدام جميع المواد بمعنى أي مادة سطح وأي نوع ألوان سواء التي تتفاعل بالماء أو بالزيت وغير ذلك لأنها تكون محمية من عوامل الطبيعة داخل القاعة ,,

ب- الجدارية الخارجية (التي تكون خارج المبنى) وهنا يجب مراعاة نوعية المواد لكي تبقى الجدارية في حالة جيدة وتقاوم عوامل الطبيعة من أمطار وحرارة وبرودة ,,, الخ

يحبذ في ذلك أن يكون السطح هو الجدار نفسه.

وفي النوعان (أ و ب) توجد جدارية نافرة (بارزة المعالم والأشكال) مواد التنفير توضع قبل التشكيل باللون على أن يكون تنفير الشكل متناغم ومتناسق من اللون.

فإن كانت جدارية خارجية ونافرة المعالم تكون مواد التنفير أو بروز الأشكال من الإسمنت أو المعجون ويفضل أن يكون من الإسمنت إن كان مقرر لبعض التكوينات في الجدارية بسماكة كبيرة لأن المعجون في السماكة الكبيرة لن يفي بالغرض وقد يتلف من الجدارية أو ما يكون بتثبيت خامات على السطح (الجدار) ويكون سطح الجدارية من ملمس خشن ليعطي أكبر قدر من تماسك اللون عليه وللون يفضل أن تكون من البويات الزيتية لأنها في الغالب تكون مقاومة للعوامل الطبيعية.[1]

[1] esta-edu4.yoo7.com

المطلب الثالث : تقنيات التصوير الجداري.

تنوعت الأساليب والتقنيات المستخدمة في التصوير الجداري عبر العصور , فتاريخ التصوير الجداري قد عرف العديد من الوسائط للتصوير و نذكر منها التالي :

1. التصوير الجصي او الفريسكو FRESCO :

الفريسكو هي كلمة إيطالية تعني رطب وهو عن طريق التصوير على الجص وطريقته أن يكسي الجدار بطبقة من الجص او الطين ثم يطلي فوقها بالألوان المذابة في الماء على أن يوضع الطلاء قبل أن يتم جفاف هذه الألوان حتى يتشرب الجص باللون أثناء جفافه, وبذلك يتفادى تساقط الطلاء أي قبل تفاعله الكيميائي وجفافه التام.

إن أصل تسمية الفريسك مأخوذة من الكلمة الايطالية EL FRISCO وهي تعني الطازج ,لأن التصوير يتم على الحائط عندما يكون بياضه طازجا ولم يجف بعد يصبح الجزء الذي تم تلوينه أثناء جفاف الجص جزءا أساسيا من الحائط وقد كسته خلاله من كربونات الجير ألوان الفريسك هي عبارة عن صبغات أكاسيد طبيعية أو كيميائية مسحوقة , لها قابلية التشرب داخل البلاط ,ومن هذه الألوان المغرة الصفراء والحمراء والأصفر الحديد والأخضر الزمردي والأزرق الكوبالت, وغالبا ما يؤثر الجير الأبيض على الألوان ودرجاتها ويكسبها تأثير يماثل تأثير ألوان الباستيل. إن الرسم يبدأ من أعلى إلى أسفل ويكون استعمال الفرشاة في اتجاه واحد.[1]

2. التمبرا TEMPERA:

وهي طريقة استخدمت في الفن الجداري في العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة وهي عبارة عن ملونات جافة معالجة بمستحلب وتعجن الماء ,حيث تعالج بصمغ العربي أو غرار عضوي أو تعالج مع صفار البيض.

وألوان التمبرا هي ألوان غير شفافة, ولها قدرة كبيرة على تغطية سطح اللوحة أو الوسط الذي ترسم عليه وذلك بغلاف ألوان الماء العادية الشفافة التي تذوب في الماء, ويمكن الرسم بها على الورق الخاص بالرسم بدون تحضير. أما ألوان التمبرا غير الشفافة فتحضر

[1] منى حيدر علي ,تقنيات التصوير الجداري, مجلة الاكاديمي, العدد93 , 2019-09, ص50

بخلطها بوسيط مائي لاصق (من المواد التي تذوب في الماء) كالمواد الراتنجية الطبيعية مثل الصمغ العربي أو المواد الغروية الحيوانية مثل غراء الأرنب , أو غراء الأسماك, أو الغراء العادي من قرون وحوافر الحيوانات , أو زلال البيض أو شمع النحل كوسائط لاصقة أو مثبتة الألوان.[1]

3. الفسيفساء MOSAIC :

الموزاييك هي كلمة أعجمية مشتقة من اللغة اليونانية , تقابلها في اللغة العربية كلمة فسيفساء. يقول جينوبيفا في كتابه عن تكتيكية التصوير أنه من المؤكد أن فن الموزاييك موروث ومتطور عن الفنون القديمة في منطقة البحر الأبيض المتوسط كمصر والشرق العربي , وبلاد الإغريق والرومان ويميل البعض إلى إرجاع أصله إلى بعض الزخارف التي عملها الإنسان ما قبل التاريخ بقطع من العظام أو الأسنان أو الأصداف والخرز في تكوينات على شكل عقود وحلي للرأس.[2]

الفسيفساء أو الموزاييك أسلوب فني يتمثل في تشكيل مناظر جميلة بواسطة قطع من الحجر أو المرمر أو الخزف أو البلور إلخ... تلصق بالجبس أو مونة الإسمنت و غيره من المواد , وتكون أسطحها مقاومة للعوامل المناخية فلا تأثر عليها, ويكون الغرض منها تزيين الجدران أو الأعمدة أو الأرضيات وكل المساحات الفارغة في الصروح والمباني العامة والخاصة. ويعتقد بعض المؤرخون أن أولى أعمال الفسيفساء ظهرت عند البابليين الذين استعملوا قطعا خزفية صغيرة لتخليد معارك أحد ملوك أورUR ، ويبدو أن المصريين لم يلجؤوا كثيرا في معابدهم وقصورهم إلى هذه الطريقة التزيينية التي شهدت انطلاقتها مع اليونانيين وبلغت أعلى مراتب الدقة والتعبير مع الرومان ثم البيزنطيين. توجد طريقتان في الفسيفساء، الأولى: أوبيس تسيلا توم(Opus tessellatum) وهي استغلال قطع متوسطة منتظمة الحجم تسمح للفنان برسم الخطوط الدقيقة للتقرب أكثر ما يمكن من المنظر

---

[1] بن كروم عائشة. تيكور ايمان،تأثير الفن التشكيلي على فن الجداريات في الجزائر بعد الاستقلال (طاهر ووومان – أنموذجا)، مرجع سابق، ص43

[2] بتصرف، سحر شمس الدين محمد محمود، "فن التصوير الجداري في مصر الفرعونية و أثره على تصميم الجداريات الفنية الزجاجية المعاصرة، مجلة العمارة و الفنون، عدد 8،ص4-5

وشكله الطبيعي. أما الأسلوب الثاني فهو : أوبيس سكتيل (Opus sectile) وتوظف فيه قطع أكبر غير منتظمة ومختلفة الحجوم.

إن أقدم القطع الفسيفسائية الباقية هي التي وجدت في هركولنيوم(Herculanum) المدينة التي ردمتها حمم بركان فيزوف(Vesuve)في أواخر القرن الأول قبل الميلاد فسيفساء رافين من الأسلوب التسلاتومي انظر تيودورة وحاشيتها)، من الإضافات الهامة التي جدد بها الرومان الفسيفساء هي الزجاج الملون المذاب الذي سمح لهم بإثراء قائمة الألوان للتحكم في توظيفها في المناظر المرسومة. وقد برع الحرفيون الرومان في تزيين القصور والحمامات جدرانها وأحواضها ولا تخلو آثارهم في الشرق والغرب من المشاهد الخيالية الأسطورية والواقعية الطبيعية أو مناظر للأباطرة والأثرياء في لهوهم وحروبهم وحتى العمال البسطاء من فلاحين وبحارين وغيرهم.

ويبدو أن البيزنطيين عند تبنيهم المسيحية قد بلغوا قمة الحذق والإبداع الفسيفسائي ويظهر ذلك جليا في مدينة رافين(Ravenne) لاسيما في مقام سان فيتال(San Vitale) حيث توجد فسيفسائيات كثيرة منها التي تمثل الإمبراطور جستنيان وزوجته تيودورة وحاشيتهما.

ومن المؤكد أن المسلمين تأثروا بالبيزنطيين في استعمال الفسيفساء لذلك تجدهم وظفوا فنانين لتزيين بعض المرافق في قبة الصخرة الشريفة والمسجد الأموي بدمشق وكذلك قصر خربة المفجر بفلسطين. [1]

4. التلوين على الزجاج GLASS PAINTING:

عرف الزجاج منذ بداية التاريخ وقد وجد الزجاج الطبيعي في أماكن متفرقة من العالم والزجاج الطبيعي هو عبارة عن كتل حجرية تسمى(OBSIDIAN) منها الشفاف و النصف الشفاف وغالبا ما تكون ملونة بألوان مختلفة نظرا للعوامل والتربة التي تأثر فيها أثناء الانفجارات البركانية.

ويتم تنفيذه بطريقتين:

[1] حسن بوساحة, تاريخ الفن, مرجع سابق، ص57

أ- حراريا :وهي تقنية تتم على سطح الزجاج الشفاف بأصباغ الزجاج , مسحوق ملون يتكون من تراب الزجاج والأكاسيد بواسطة مذيب والألوان نفسها التي تستخدم في بلاطات الخزف تتم معالجة الألوان حراريا بواسطة أفران كهربائية.

ب-كما يمكن التصوير على الزجاج أو الألوان الزيتية حيث يكون التلوين على سطح الزجاج ويستخدم زجاج سماكته ما بين 4-6 ملم حتى يقاوم عملية التلوين.[1]

4.1 تقنية الخدشETCHING :

إمكانية الخدش أو الحفر على طبقات سميكة من الزجاج هي تقنية تحتاج إلى مهارة تصميمية و تنفيذية عالية تعطي انطباعا تأثيريا على الزجاج

أ_ الحفر على الزجاج بالحامض : إذ يستخدم حمض الهيدروفلوريك على سطح الزجاجي الطبقتين أو أكثر, ويستخدم الشمع كعازل على سطح الزجاج للمساحات التي لايرغب في حفرها, و يستخدم الآن الورق الشفاف و اللاصق.

ب_ الحفر على الزجاج بالرمل: هذا النوع من الحفر يعطي أعماق مختلفة تصل إلى 0.5 سنتمتر. ويتوقف الحفر على قوة تعريض نفخ الرمل وقوة الدفع من ضغط الهواء مسدس الرش.

ج_ الزجاج المؤلف بالحديد : هذه التقنية واحدة من تقنيات العصر الحديث نتيجة للتكنولوجيا الحديثة, إذ برع الفنانون في استخدام الصاج وقضبان الحديد مجمعة في وحدة واحدة مع الزجاج المعشق بالرصاص, ويتم تركيب الزجاج الملون المعشق بالرصاص أو مساحات الزجاج الملون على إطار حديدي بواسطة اللصق أو اللحام.[2]

4.2 تقنية الزجاج الملون Glass stain

---

[1] بن كرويدم عائشة •تيكور إيمان، تأثير الفن التشكيلي على فن الجداريات في الجزائر بعد الاستقلال) طاهر ومان – أنموذجا، مرجع سابق، ص 44

[2] خوجلي خالد. خوجلي إبراهيم و آخرون, تقنيات التصوير الجداري, كلية الفنون الجميلة, جامعة السودان,2016 مجلة العلوم الانسانية ص278-280

يعرف التصوير على الزجاج بأنه استعمال الزجاج الملون إذ يظهر التصميم واضحا بقيم ألوانه إذا تعرض الزجاج للضوء الطبيعي أو الصناعي.

ويندرج تحت تقنية الزجاج الملون تقنية تجميع الزجاج الملون والزجاج الشفاف والزجاج الملون بواسطة أصباغ خاصة، و تلخيص وتبسيط الخطوط التكوينية الاساسية، حتى يمكن توفير المساحات اللونية التي تتناسب مع أسلوب التصوير على الزجاج.

السمات الأساسية لفن الزجاج: يكتسب أكبر كمية من الضوء والأشعة ويقوم بتوزيعها في الاتجاهات، مقاومته للعوامل الجوية المؤثرة كالحرارة و الرطوبة، يجمع الزجاج بين خواص الحوائط المعتمة، والفتحات الشفافة ذات التصميمات الفنية.

توجد عدة طرق أو تقنيات للاستخدام، وهي إما بالتلوين على الزجاج الشفاف بألوان الزجاج أو بالخدش على الزجاج، أو تجميع الزجاج الملون بالرصاص أو الجص، وقد يستخدم الزجاج في شكل مسطحات في الفتحات المعمارية كالنوافذ والأبواب لإيجاد وقيم جمالية عن طريق تشكيل الضوء الناتج عن هذه المساحات الزجاجية.

أدت التقنيات الحديثة للجداريات دورا هاما في تنمية وتطوير الجوانب الثقافية والجمالية والفكرية للإنسان على مر العصور واتسمت بالديمومة وقدرتها على مواكبة متطلبات العصر وتقلبانه. [1]

5. الأكريليك ACRYLIC

استخدم الإنسان القديم الراتنجات الطبيعية (RESINS NATURAL) كأصماغ ولواصق منذ ألاف السنين مثل النيشا والسيلوز , وكانت تستخرج المساحيق اللونية من مواد التربة والمواد النباتية والحيوانية , وكانت الألوان المشتقة من هذه الأصول ضعيفة في شدتها وكانت الألوان النقية نادرة الإستعمال بسبب غلو أثمانها وندرتها.[2]

إن مادة الأكريليك هي عبارة عن مادة ملونة قوية و واضحة وبراقة تدوم وقت طويل, وتصنع ألوانه عادة بمواد راتنجية بولي أكريلات ومشتقاتها وهي تستخدم في طلاء الحوائط

[1] د. منى حيدر علي ,تقنيات التصوير الجداري, مرجع سابق، ص54

[2] خوجلي خالد خوجلي إبراهيم وآخرون، تقنيات التصوير الجداري، مجلة العلوم، المجلد 17 العدد 3 ،ص 276

وتعرف بالبويات البلاستكية وهي تتميز بسرعة الجفاف وتقاوم الأكسدة و التحلل جيدة للالتصاق. ولقد طور الأكريليك عندما احتاج مهندسو البناء مادة تقاوم الحرارة والرطوبة, وبما ان الأكريليك يصنع من صمغ صناعي يشبه البلاستيك فهو يجف حالما يتبخر منه الماء ويستعمل الأكريليك بصورة خاصة في التلوين على الجدران, بوصفه من أفضل الخامات التي تصلح للتصوير على الجدران, والتلوين بألوان أساسها الأكريليك على الحوائط الخارجية.[1]

6. السيراميك CERAMICO :

الخزف أو السيراميك CERAMIC هو الفخار المزجج و يصنع من الصلصال أو الطين الذي يحرق فيصبح فخار, وبعد طلائه ينتج الخزف ولذلك فإن الخزف من الخامات الطبيعية , إذ يمكن تشكيلها واستخدامها في عدة أهداف فمن آنيات وأطباق إلى اللوحات الفنية الصغيرة المكونة من قطع صغيرة مجمعة وملونة على شكل التصميم الذي أعد له ويعمل منها اللوحات الجدارية الضخمة التي تثبت على الجدران الداخلية أو الخارجية للمبنى فتقاوم عوامل الزمن والتقلبات الجوية من البرودة والحرارة.[2]

[1] خوجلي خالد خوجلي إبراهيم وآخرون، تقنيات التصوير الجداري، مرجع السابق،

[2] سحري يوسف قدح ،تقنيات التصوير الجداري و الاستفادة منها في تنفيذ الجداريات المستمدة من التراث الشعبي السعودي، رسالة ماجستير في التربية الفنية، جامعة ام القوى ، 2006، ص130

المبحث الثاني : الفن الجداري عبر العصور

الفن الجداري ترعرع في أحضان الدين كانت الجداريات ترسم في المعابد والمقابر ودور العبادة، وبعدها في الكنائس والمساجد لذا ظلت رسوماتها غالبا دينية الطابع تجسد رؤى الإنسان للموت وللعالم الآخر حقبة طويلة من الوقت ، عندما انتقلت إلى قصور الملوك لتسجيل إنجازاتهم وترسم انتصاراتهم . أو لتجسد أبعادا دنيوية أخرى تعاكس الآفاق الدينية ، فتحفل المشاهد باللذة ، كمشاهد الصيد أو النساء أو الحفلات و المجون وغيرها من المشاهد التي ترسم أبعاد الحياة الإنسانية وما تحفل به من صراعات, وقد تميز فن التصوير الجداري عبر عصوره المتتالية خاصية محددة الأبعاد، كما كان تتواجد تلك الشخصية الفريدة التي تميزه في إطار عبقرية الإنسان والمكان.

المطلب الأول : التصوير الجداري المصري.

1.العصر الباكر عصر الأسرات الأولى:

الأسرتان الأولى والثانية من 3100 إلى2780 ق.م.

كانت مصر قبل عهد الأسرات مقسمة إلى مملكتين مملكة الدلتا في الشمال ومملكة الصعيد في الجنوب وكانت هناك محاولات من الجانبين لتوحيد الوادي، سواء عن طريق الحرب أو الاتفاق واهتم المنقبون والمؤرخون في نهاية القرن الماضي بالبحث عن آثار حرف إلى الشرق من رأس الدلتا على مقربة من حلوان، ثم في شمال غربي الفيوم وفي دير تاسا قرب اسيوط وهذه الآثار متشابهة بصورة عامة إلا في بعض التفاصيل، ويرجع تاريخها إلى خمسة آلاف عام قبل الميلاد. [1]

- **فن التصوير المصري قبل عهد الأسرات:**

تحدد مميزات التصوير في ذلك العصر بالنقاط التالية:

* إن التصوير كان يعتمد على النقش الغائر أو النافر وكان ملوناً أحياناً بالألوان الترابية.

[1] عفيف البهنسي، تاريخ الفن و العمارة، دار الشروق-نبيل طعمه، 2002, ط1، ص41-42

* إن طريقة التصوير كانت مشابهة لطريقة الهيروغليفية، بمعنى أن الصور مقسمة إلى أنساق متوازية.

* كان التصوير عفوياً، ولم يتأثر بعد بالفروق الطبقية الاجتماعية التي أثرت على التصوير فيما بعد، فجعلت الأشخاص يزدادون حجماً تبعاً لارتفاع مكانتهم الاجتماعية، بل كانت صور الأشخاص واحدة في الحالتين الجانبية والوجهية.

* استقر التصوير في بداية عهد الأسرات على قوانين ثابتة أهمها:

أ - إظهار الجسم من الناحية التي تبرز خصائصه.

ب - تحقيق توازن الجسم.

ج - إتجاه المصور إلى اليمين. ومن الملاحظ أن هذه القواعد بقيت محصورة في الصور المنقوشة على جدران المعابد والمقابر دون غيرها التي بقيت حرة.[1]

- **خصائص فن التصوير :**

كان الفنان المصري - رساماً أو مثّالاً - ترفعه مهارته الفنية ورهافة حسه إلى مكان التقديس والتقدير، فيغدو بعد قليل من كبار رجالات الدولة يستمتع كما يستمتعون بالرخاء والثراء، لهذا لم يكن عجيباً أن يختار رئيس كهنة منف رئيساً أعلى للفنانين، بعد أن عد الإله (بتاح) رب منف الإله الفنان بين الآلهة المصرية.

ومن بين أسماء الفنانين القلائل التي وصلت إلينا اسم (تحتمس) الذي نحت تمثال الملكة نفرتيتي الموجود في متحف دالم ببرلين و (ايوتي) كبير نحاتي الملكة (تي) والدة أخناتون في تل العمارنة.

إن العقيدة الدينية القائمة على البعث دفعت الفنان المصري إلى تزيين جدران القبور والمصاطب بمختلف مظاهر الحياة التي ألفها المتوفي، كي يستأنس بها عندما ترتد إليه الحياة، وهكذا وجد المنقبون صوراً جدارية ملونة تمثل الميت بين أهله وخدمه في عمله، أو تمثل رغبات الميت وحاجاته من طعام وشراب أو من حفلات موسيقية ورياضية ومناظر الصيد والبط.

---

[1] المرجع نفسه, ص52

ويمتاز التصوير بالصفة التعبيرية، فليس المقصود هنا نقل الواقع حرفياً، بل نقل القصة أو الحادثة بشكل تقريبي رمزي مختلط مع الكتابات الهيروغليفية التفسيرية.

وكما هو الأمر في النحت فلقد اتبعت الطريقة الجبهية، ولكن في التصوير، كان الرأس يرسم من الجانب، أما العين فكانت جبهية وكذلك الصدر، أما الفخذان والقدمان فكانت جانبية. ولم يستعمل المصور المصري المنظور، بل كانت الأشخاص تتوضح فوق بعضها، وكانت حجومها إنما تزداد بازدياد مكانة صاحبها، وهكذا كانت صورة فرعون هي الأكبر. [1]

[1] عفيف البهنسي، تاريخ الفن و العمارة، المرجع سابق، ص 60

إن الفن المصري يتمحور في أغلبه حول الموت والطقوس الجنائزية، ومشاهد الملوك والكتبة والسحرة والخدم وحاملي الهبات والرسومات المتعلقة بالحياة الأخرى تكرّرت بصورة تلقائية في كثير من المعابد ومقابر الفراعنة والأثرياء. منذ 3000 سنة ق. م تمكن ملك قوي يُدعى مينا Mina من توحيد القبائل المنتشرة في مصر وشكل أول مملكة مصرية نصب نفسه فرعونا عليها سنة 2850. توالت على حكم مصر سبع وعشرون أسرة، أشهرها:

أ - المملكة القديمة (2778 - 2260 ق م) : تميزت هاته الفترة التي بدأت مع الأسرة الرابعة بتأليه الفرعون فشيدت لدفنه الأهرام جيزة وهي قبور عظيمة تدخل في مجمع معماري يحتوي على معبد وملحقاته زينت كلها برسومات رمزية لها إشارات إلى حياة الفقيد وآخرته (عندما يُحشر الفرعون في الحياة الأخرى سيجد الخدمُ في الرسومات على حيطان القبور الضخمة معلومات كافية تسمح لهم بخدمة الفرعون وحاشيته وحيواناته وكل ما اختاره لمرافقته في آخرته، تلك كانت عقيدتهم).

ب - **المملكة الوسطى (2160 - 1785 ق م)** : وقد بدأت بحكم منتو هوتاب الأول مؤسس الأسرة الحادية عشرة حيث تغير وجه الفن لأن الفرعون لم يعُدْ مُمَثَلا كالرب وأصبح إنسانا يُمثل كسائر البشر.

ج - **المملكة الحديثة (1580– 1085 ق.م)**: تميزت هاته الفترة الذهبية في التاريخ المصري القديم بحكم الأسرة الثامنة عشرة والفرعون أموزيس ومن بعده رمسيس الثاني. [1]

التصوير الفرعوني : لقد تميزت الملونات والرسومات المصرية عن سائر ما عرفته الإنسانية إلى الآن، وهي رغم قدمها لاتزال محافظة على نظارة ألوانها. إنّ رسومَ الأشخاص خاضعة لقوانين صارمة: الأجسام متناسقة الأعضاء فيها تناغم وجاذبية، الطول يحدّده الموقع الاجتماعي، الوجوه الداكنة أو الحمراء للرجال والخدم وكذا التنورات القصيرة الأجسام النسائية تُخصص لها الألوان الصفراء أو المائلة إلى الوردي والبني الشاحب، المجوهرات من نصيب الطبقة الراقية وكذا الملابس الطويلة تكون الرسوم عموما كالتالي : الوجه والساقان جانبيان يلهمان لنا أن الرّجل اليُسرى رسمت مرتين العين والكتفان أماميان بينما الصدر

[1] حسن بوساحة, تاريخ الفن, مرجع سابق، ص17

فهو موجه ثلاثة أرباع إلى الأمام تظهر الرسومات على شكل طوابق أو أشرطة يرمز كل منها إلى معلومات وأحداث مرتبطة ببعضها البعض، تنطبق الميزات نفسها على النحت الغائر. شهد الرسم والفنون التجميلية ثراء كبيرا تلخص في ما أبدعته أنامل الفنانين في قبر الفرعون توت عنج أمون (1354 - 1346 ق م) الذي اكتشف سنة 1922 بوادي الملوك.[1]

وهكذا فعندما تتحدث عن التصوير المصري، فإن الأمر سيكون مختلفاً عن الحديث في موضوع التصوير المعاصر المألوف، وهذا الاختلاف يتوضح في الماهية كما يتوضح في الأسلوب.

على أن التصوير المصري لا يشمل الرسم بالقلب، أو التصوير الملون فقط، بل هو يشمل النقش على الحجر.

***النقش البارز Bas-reliefs:** وهو نقش على الحجر تبرز فيه الصورة عن سطح الحجر وتدهن الصورة عادة ببعض الألوان كالأحمر الترابي لأجسام الرجال والأصفر الترابي لأجسام النساء والأزرق للنباتات وتوجد هذه النقوش على جدران المعابد والقبور وهي تمثل الحياة المصرية بجميع مجالاتها الزراعية كالحصاد وتقليم الأشجار، والصناعية كبناء السفن وصنع الآثاث. وفي الدولة الحديثة كثرت مشاهدة العبادة وحوادث العالم الآخر.

*** النقوش الغائرة:**

وهي تقوم على حفر حدود الصورة ويكون الحفر قائما من الخارج ومائلاً نحو الداخل وتكون الصورة هنا على مستوى سطح الحجر ونشاهد هذا النوع من الرسم على جدران الأضرحة والمعابد وفي الأماكن المكشوفة المعرضة للشمس لتصبح الصورة أكثر وضوحاً. وتمثل عادة أعمال فرعون وانتصاراته في الحروب.

***التصوير الجداري الملون:**

وهو التلوين الذي لا يعتمد على النقش فالألوان توضع مباشرة على الجدران وترسم بطريقة مشابهة للتصوير الزيتي، ولكن بألوان ترابية. [2]

---

[1] حسن بوساحة, تاريخ الفن, المرجع سابق, ص18

[2] عفيف البهنسي، تاريخ الفن و العمارة، مرجع سابق، ص86-87

المطلب الثاني: التصوير في بلاد الرافدين:

تشمل بلاد الرافدين المناطق المحاذية لنهري دجلة والفرات في ما يسمى اليوم تقريبا بالعراق، تناوبت عليها ممالك عديدة متناحرة ومعرضة على الدوام إلى وحشية القبائل الجبلية المجاورة آخر ممالكها الأشوريون والكلدانيون. كانت منقسمة في الألف الثالثة قبل الميلاد إلى مملكتين كبيرتين : الأكادية la chaldee في الشمال وعاصمتها أكاد Akade من أشهر ملوكهم صرغون (2371-2316 ق.م) الذي استطاع أن يؤسس مملكة كبرى توسعت حتى الأناضول، والسومرية Sumer في الجنوب وعاصمتها اور our توسعت منذ 1830 ق.م بفضل ملوك سادسهم حمورابي الكبير (1792-1750 ق.م) الذي اشتهر بسن قوانين إدارية وتنظيمية هامة وظهور مدينة بابل وحدائقها الأسطورية المعلقة التي بناها الملك نبوخذ نصر لزوجته. اضمحلت تقريبا كل الآثار القديمة لأنها بنيت بالطوب الذي تضرر بالعوامل الطبيعية والحروب المستمرة بين الشمال والجنوب كشفت الحفريات على مكتبات كاملة مدوّنة بالخط المسماري على لوحات طينية صمدت أمام عواصف الزمن. وبلاد الرافدين هي التي قدمت أولى الأبجديات منذ 5000 سنة و على أرضها أسس الأكاديون والآشوريون علم الفلك وقسموا السنة إلى 365 يوما واليوم إلى 24 ساعة والدائرة إلى 360 درجة وطوّعوا الأثقال باكتشاف العجلة، وكانت مكتبة الملك آشوربنبال بنينوى تحتوي أكثر من 30.000 لوحة طينية دونت عليها كثير من الحقائق العلمية و المعاملات. تأثرت حضارة بلاد الرافدين بالطابع الديني الذي ميز العلاقات بين الآلهة والبشر، وانتهت تلك الحقبة الزاهية من تاريخ الإنسانية تحت وطأة الفُرْس في القرن السابع قبل الميلاد.[1]

الحضارة بلاد ما بين النهرين القديمة أشبه ما تكون حضارة النيل، من حيث القدم والثراء و الطابع المتميز و استمرار التطور في نواحي الفكر والمادة. كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة، أن أول مدنية بدأت ببناء القرى حول في دجلة والفرات حوالي 8000 سنة ق.م، مما ساهم في الاستقرار و بداية الزراعة، غير أن الفيضانات التي تعرضت لها هذه السهول كانت تمثل

[1] نفس المرجع، ص 24.

خطرا دائما على سكان ما بين النهرين وعلى المحاصيل الزراعية و المواشي، فدفعهم الصراع من أجل البقاء إلى تنظيم الري والصرف، ونشأت مدنيات وتكاثف السكان في نينيف (Ninive) و بابل، وعرف سكانها استعمال الحرف في حوالي سنة 2000 ق.م، ثم جاءت مرحلة تطوير وتعدين النحاس بين سنة 6000 إلى سنة 4000 ق.م، و ترور الأزمنة وتحكمهم في المحيط المعيش تطورت وازدهرت الحياة وسادت عقيدة تعدد الآلهة، وتمثلت في تعدد الأصنام والمعبودات المحلية والأرباب المختلفة واعدم الكهنة حزنة الحكمة الإلهية.

1 - Mesopotamie : كلمة إغريقية تنقسم إلى جزأين، الأولى Memon" تعني الوسط، والثانية "pornmor تعني النهر والمقصود هنا هذا دجلى و الفرات اللذان يتبعان من الخضاب الأرمينية ليلتقيا في الماني (200)كم الأخيرة عند شط العرب في البصرة (العراق) و يصبان في الخليج.

***مرحلة ما قبل الدول:**

اكتشفت الآثار الأولى لحضارة بلاد الرافدين بمنطقة دير قرمز في أسفل جبال سنجار، والتي تعود إلى العصر الحجري الحديث (Neolithian)، أما الجنوب فتميز بالحرف المزخرف بأشكال هندسية ذات ألوان غامقة.

خلال مرحلة أوروك وجمدت نصر ظهرت البذور الأولى للكتابة حوالي 2900 سنة ق.م، انتظمت المدينة في هذه المرحلة حول المعبد وزينت المباني بأشكال مخروطية ملونة، وبالقرب منها بنيت الزيقورات التي تعد من مميزات العمران الديني لحضارة بلاد الرافدين.[1]

- **<u>السومرية:</u>**

ظهرت كلمة سومر في الألفية الرابعة قبل الميلاد، حين هاجرت قبائل من إيران لتستقر بالجنوب حوالي سنة 1000 قيم وسموا بالسومريين نسبة إلى منطقة سومر التي استقروا فيها، ودامت هذه الحضارة حوالي ستة قرون ونصف. كما تعتبر أول حضارة في تاريخ الإنسانية. كانت بمثابة قاعدة للحضارات التي ستعاقب في المنطقة، وتركوا للإنسانية إبداعات غاية في الإتقان والأهمية .

[1] نصر الدين بن طيب، تاريخ الفن ، مرجع سابق، ص 97

كما اعتبر المعبد مكانا للعبادة ومركزا إقتصاديا. أسفرت حفريات سنة 1931، مقبرة الملوك في مدينة أور على اكتشاف العديد من الآثار من بينها النحت البارز (حوالي 2500 إلى سنة 2450 ق.م) الذي تمجد نصر ملك مدينة (لغش) على مدينة (إما).

جاءت رسوم السومريين في الغالب منقوشة في المرمر والجبس على جدران القصور، ملونة بأساليب مختلفة، فالنقوش المكتشفة بمعبد (أبي) بالتل الأحمر، تمثل نساء ورجالاً ملامح أوجههم قاسية (حوالي 2600 سنة ق.م) ، أما التي اكتشفت في قصر مدينة ماري جاءت بملامح واقعية.[1]

أبدعوا في النحت البارز على الجدران في منحوتات أو مسلات تظهر الوقائع السياسية وطبيعة الأفكار والقوانين والشرائع التي يسنها الآلهة والملوك ، فضلاً عن نحت الأختام الأسطوانية وكلها تعبر عن روح الشخصية السومرية . وأن النحت البارز يتجاوز الرسم على الجدران في تكوين المسلات.[2]

- **الكلدانية:**

إنتهى عهد فجر السلالات بقيام "سرجون" الأكدي (2316-2371 ق.م) بتوحيد بلاد الرافدين في مملكة واحدة. كان سرجون من الأكديين وهم فرع من الأقوام السامية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين. ربما في أوائل الألف الثالثة ق.م أو قبل ذلك بقليل. وكانت القبائل الأكدية الرحالة تحتل البلاد المعروفة ب (أكد) الواقعة شمال سومر وتقيم فيها مدنا كبيرة هي: (بورسيبا) وكيش، ونفر وإجادة فأصبح في سهل بلاد الرافدين شعبان مختلفان ومتنافران وكان من الطبيعي أن يشتد الصراع بينهما على النفوذ، وكانت المدن أيضا في قتال مستمر على أن ظهر سرجون سنة 2750ق.م. حيث حسم الصراع عندما قام بعدة غارات على السومرين قضى فيها على سومر وجعل السهل كله تحت سلطانه ونفوذه.

---

[1] بتصرف نصر الدين بن طيب، تاريخ الفن , ص97-98-100

[2] m.ahewar.org

وليس من المستبعد أن الأكديين قد عاشوا جنبا إلى جنب مع السومريين منذ أقدم العصور وعرف القسم الأوسط والجنوبي من العراق منذ ذلك الزمن باسم البلاد (سومر وأكد حكم مؤسس السلالة الأكدية سرجون خمسة وخمسين عاما أدخل خلالها الكثير من الإصلاحات على نظام الحكم والجيش بما في ذلك تطوير أساليب الحرب والسلاح. وكذلك حصل تقدم عظيم في العمارة والفنون بعامة التي تميزت في العصر الأكدي بالقوة والحيوية والحركة. ويعد نرام - سين " أقوى ملوك السلالة الأكدية الذي حكم زهاء أربعين عاما.

عم الإضطراب في المملكة أواخر العهد الأكدي فقد حكم بعد "نرام - سين" ملوك ضعاف مما شجع الأقوام الجبلية وهم الكوتيون الذين عرفوا في النصوص المسمارية القديمة بأعداء الآلهة، على غزو بلاد "سومر" وأكد إن حكمهم الذي دام حوالي مائة سنة كان عهدا مظلما كادت تنقطع فيه عنا أخبار العراق القديم، وقد عوض عن ذلك ازدهار الحضارة في جنوبي العراق وخاصة في مدينة "لكش" وما يجاورها. وقد اشتهر من بين الأمراء السوريين في أواخر هذا العهد أمير أو ملك اسمه "جودية" الذي عرف بتماثيله الكثيرة التي وصلتنا والذي عمل على إحياء الآداب السومرية وتشييد العديد من المعابد الفخمة.[1]

- **السومرية الجديدة:**

سقطت الإمبراطورية الأكادية بعد مضي قرن ونصف من السيطرة (في نهاية الألفية الثالثة)، وحلت محلها الدولة السومرية الجديدة، فانتعشت المدن السومرية الأولى من جديد، التي بنيت بها عدة معابد الزيغورات والقصور الملكية.

لما كان السومريون يعبدون الآلهة التي ترمز إلى الخصوبة والأفراح، كان حاكم المدينة يتميز بمنصبين، فهو الحاكم الديني والمدني. وتميزت كل مدينة بالاهها الذي هو في نفس الوقت الحاكم، مثل إله أنليل (Anilil) إله السماء والأرض، و إيرانا (iranna) إله الأمراء. وهكذا كان لكل إله رمز يطابق مهمته .[2]

[1] إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دار هومة، الجزائر، 2007، ص134-135

[2] بتصرف, نصر الدين بن طيب، تاريخ الفن، مرجع سابق ص104

- **البابلية:**

بدأ التاريخ الفني في عصر بابل منذ الألفية الثانية ق.م انقسمت بلاد ما بين النهرين من جديد إلى عدة دويلات، وبعد صراعات كثيرة استطاع (حمو رابي) حوالي سنة 1750 ق.م، بسط سلطانه على جميع المدائن البابلية وتوحيد البلاد، مما سمح بتأسيس حضارة بابلية كبيرة.[1]

عرفت بلاد بابل عهوداً من الإزدهار أدت إلى تألق الفنون فيها ومنها: فنون العمارة المدنية والدينية، والنحت والتصوير، وصناعة الحلي والخزف، والموسيقى. وتظهر آثار هذه الفنون في خرائب المدن القديمة.

وكان التصوير بالألوان من الفنون الثانوية عند البابليين، يستخدمونه في تزيين الجدران والتماثيل، ولم يحاولوا قط أن يجعلوا منه فناً مستقلاً بذاته. ولسنا نجد في خرائب البابليين تلك النقوش الملونة التي تزدان بها قبور المصريين، أو تلك المظلات التي تجمل قصور كريت. كذلك لم يرق فن النحت عند البابليين، ويلوح أن هذا الفن قد جمد وقضي عليه قبل أن يكتمل نمو ما ورثته بابل من القواعد التي جرى بها العرف عند السومريين، وأرغمها الكهنة على اتباعها والجري على سننها: فكل الوجوه المرسومة وجه واحد، ولكل الملوك أجسام ممتلئة قوية العضلات، والأسرى كلهم كأن تماثيلهم صبت في قالب واحد. ولم يبق من تماثيل البابليين إلا القليل، ولم يكن ثمة ما يوجب هذه القلة. والنقوش الغائرة أحسن حالاً من التماثيل ولكنها هي الأخرى فجة خشنة يتحكم فيها العرف والتقاليد؛ وثمة فارق كبير بينها وبين نقوش المصريين القوية التي حفروها من قبلهم بألف عام. ولا تصل هذه النقوش إلى غايتها إلا حين تمثل الحيوانات وهي هادئة ساكنة مهيبة في أرباضها الطبيعية، أو مهتاجة أثارتها قسوة الإنسان. وليس في وسعنا الآن أن نحكم حكماً عادلاً على فن العمارة البابلي لأننا لا نكاد نجد شيئاً من مخلفات هذا الفن يرتفع فوق الرمال أكثر من بضع أقدام، وليس بين آثارهم صور لعمائرهم منحوتة أو مرسومة، يستدل

[1] ينظر, المرجع نفسه ص108

منها بوضوح على أشكال القصور والهياكل وهندسة بنائها. وكانت البيوت تبنى من الطين، أو من الآجر إن كانت للأغنياء منهم، وقلما كانت لها نوافذ، ولم تكن أبوابها تفتح على الشوارع الضيقة بل كانت تفتح على فناء داخلي مظلل من الشمس. وتصف الأخبار المتواترة بيوت الطبقات الراقية بأنها مكونة من ثلاث طبقات أو أربع. أما الهياكل فكانت تقوم على قواعد في مستوى سقف البيوت التي كانت تلك الهياكل تسيطر على حياة أهلها. وكان الهيكل في الغالب بناء ضخماً من القرميد مشيداً كالبيوت حول فناء تقام فيه معظم الحفلات الدينية. [1]

- **البحر الأبيض المتوسط:**

بعد الأزمة الكبيرة التي هزت الإمبراطورية الرومانية وأطرافها، في منتصف القرن الثالث ميلادي، تحت ضغط الشعوب البربرية، بدأ المشهد السياسي العسكري لحوض البحر الأبيض المتوسط يخضع لتغيرات عميقة ومستمرة. وقد ازدادت هذه التغيرات البنيوية قوة في عام 324 م ، عندما قام الإمبراطور قسطنطين بتحويل بيزنطة إلى القسطنطينية، معلنا بذلك رغبته بتحقيق توازن الامبراطورية عبر منحها مركز ثقل ثان يقع في الشرق. كذلك يتم النظر إلى القرن الرابع الميلادي كعصر إعادة هيكلة، فقد اعتبرت المسيحية ديناً رسمية للدولة منذ حكم قسطنطين، فأعاد بذلك للكنيسة الثروات التي نهبت منها ، وأقر لها بحرية العبادة بشكل كامل. لكن يجب ملاحظة أن انتشار المسيحية في حوض المتوسط، بأكمله، لم يلغ تماماً بقايا الوثنية. [2]

والواقع أن الوثنية لن تزول تماما من تلك المنطقة وإنما ستظل مستمرة لفترة طويلة على شكل مرجعيات ثقافية، تبرهن عليها المواضيع الميثولوجية في الفسيفساء، التي تم الكشف عنها في سورية، كما في وسط تونس، والتي تعود إلى القرن السادس وحتى إلى القرن السابع الميلادي[3]

---

[1] m.marefa.org

[2] بتصرف، متحف بلا حدود، اكتشف الفن الاسلامي في حوض المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص22

[3] ينظر، اكتشف الفن الاسلامي في حوض المتوسط، المرجع سابق، ص24

ولقد ساعدت العقيدة المعممة و التي تعبد إله واحد بتحقيق وحدة الإمبراطورية وفي القرن 5م وقعت عدة أحداث من بينها احتلال الشعوب البربرية للعواصم الكبيرة (لعب دورا كبير في تطوير الإمبراطورية نحو العصور الوسطى)، لكن الحدث الأكثر دلالة هو الاستيلاء على روما ونهبها من قبل الملك القوى ثم سقطت اسبانيا و قرطاجة و بذلك ضعفت الإمبراطورية بشكل كبير وفي هذا الإطار الجغرافي السياسي المتناقض بدأت المسيحية المنتصرة تعرف فترة طويلة من الغليان وصار علم اللاهوت المجال الذي تتجلى فيه كل التوجهات وكل الصراعات الكامنة في المجتمع القديم و هكذا بدأت في القرن 5م في صراعات بين أصحاب الطبيعة الواحدة، الذين يؤمنون بالجوهر الإلهي البحت للمسيح، وبين "النساطرة"، الذين يأخذون بعين الاعتبار أيضاً الطبيعة البشرية للمسيح. وعلى الرغم من جهود السلطة السياسية من أجل إيجاد حل وسط بين التوجهين، ظلت هاتان العقيدتان مستمرتان حتى ما بعد الفتح العربي. في أفريقيا، أخذت الصراعات شكل انشقاق مثلته "الدوناتية"، التي اكتسبت اسمها من الأسقف "دونات الأكبر". وهذا الانشقاق الذي سيظل طيلة قرن كامل، يقسم الكنيسة الأفريقية، مع مجيء الفاندال، وهم من المسيحيين الأريوسيين الهراطقة من الأريوسية، التي تنص على أن الابن له طبيعة مشابهة، لكنها غير مساوية لطبيعة الأب والروح القدس. وقد وصفت بالهرطقة من قبل مجمع نيقيه، ثم مجمع القسطنطينية، في عام 381م، اندلع الشقاق بينهم وبين الكاثوليك. ولقد صار اضطهاد الكاثوليك، ومصادرة أموالهم، أمراً منتظماً، منذ احتلال قرطاجة. وبالتوازي مع رغبة الفاندال في أن يفرضوا أنفسهم كمختلفين عن أهل روما، في المجال الديني، فإنهم لم يتوانوا عن اعتماد نمط حياة أبناء الارستقراطية الأفريقية، الذين كانوا قد اكتسبوا عادات رومانية. لقد حاول الفاندال أن يشابهوا أولئك في الترف، وفي الجو المحيط، إلى درجة أنهم فقدوا معها مثلهم الحربية. أما وجود اليهودية خلال العصر القديم المتأخر، فهو بديهي في مجال الأدب والأركيولوجيا. ويمكن تقصي الآثار الأدبية، في النصوص التي كتبها الحاخامات، وفي الإرجاعات إلى اليهودية

ضمن الأدب الإغريقي، والروماني، والسرياني. أما الآثار الأركيولوجية، فهي موجودة بشكل خاص في أطلال معابد الكنس و في المدافن و المقابر كذلك في الكتابات المنقوشة.[1]

في فترة لاحقة ما بين عامي 535 و 540، استعادت جيوش جوستنيان جزءاً من إيطاليا من " الأستروغوط"، بل وتوصلت لأن تعيد الاستيلاء على جزء من إسبانيا "الفيسيغوطية".

يندرج هذا الاسترداد البيزنطي في مشروع شمولي يهدف إعادة الحياة إلى الامبراطورية الرومانية، التي كانت الامبراطورية البيزنطية تقدّم نفسها وريثا شرعيا، وامتداداً لها. في كل مكان، وضمن المدن التي تم الاستيلاء عليها، كان انتصار "الشرعية" هذا، والعودة إلى الينابيع الأولى، يترافقان مع حركة واسعة من بناء الصروح المخصصة للعبادة المسيحية. وكانت أبعاد هذه الأبنية، وزخارفها المترفة، خاصة تلك التي تأخذ شكل فسيفساء، تتبدى بشكل واضح ضمن المشهد الصروحي الموجود. ولقد لاحظ علماء الآثار ، مرات عديدة، رغبة في آثار المشيدات السابقة لفترة الاسترداد من أجل بناء مجمعات معمارية دينية متميزة، لتمجيد نصر الفاتحين.[2]

هذه الصروحية، وهذا الغنى في العمارة الدينية في القرن السادس الميلادي، كانا ينامان بشكل صارخ مع الفقر والإهمال الذي كان سمة المساكن العادية والأبنية المدنية. ففي كثير من الأحيان، في مدن إفريقيا الشمالية على سبيل المثال، كانت الأحياء السكنية فيما بين القرن السادس والسابع الميلادي، على درجة فائقة من الفقر والتهيم وحدها الكنائس كانت قرر التغني بانتصار الأباطرة البيزنطيين من حماة المسيحية أما الأماكن العامة مثل الساحات أو الحمامات، فقد تم تحويلها، في حال لم تهجره أو تستخدم كنات إلى أماكن للحرف البدوية، كتونسيات صنع اللبادة أو الزيت كذلك في المقابر التي كانت في الماضي تقع خارج الأسوار، صار موقعها في قلب المدينة.[3]

---

[1] بتصرف، اكتشف الفن الاسلامي في حوض المتوسط، المرجع سابق، ص 25-26-27

[2] ينظر، نفس المرجع ص 28

[3] ينظر، اكتشف الفن الاسلامي في حوض المتوسط مرجع سابق، ص30

- **الحضارة المينوية (حضارة جزيرة كريت)**

الحضارة المينوسية أو الحضارة المينوية المسماة نسبة إلى مؤسسها الإمبراطور مينوس، تعتبر من أقدم حضارات اليونان وأوروبا عموما وتعود إلى العصر البرونزي. موطن الحضارة يقع في جزيرة كريت وباقي الجزر الإيجية منذ بدأ بنائها في الألف السابع ق.م وازدهرت وأصبحت في ذروة شهرتها في الألف الثالث ق.م إلى الألف الأول ق.م.

يعود تسمية المصطلح «المينوسية» إلى الملك الأسطوري مينوس حاكم كنوسوس. أصل الكلمة موضع جدل، لكنه يُنسب بشكل شائع إلى عالم الآثار آرثر إيفانز (1851-1941). ارتبط مينوس في الأساطير اليونانية مع قصر التيه (المتاهة).

ومع ذلك، كان كارل هويك قد استخدم بالفعل اللقب داس مينوشي كريتا في عام 1825 لمجلد كريتا الثاني؛ يبدو أنه أول استخدام معروف لكلمة «مينوسية» في «اللهجة الكريتية القديمة».

قرأ إيفانز على الأرجح كتاب هويك، واستمر في استخدام المصطلح في كتاباته ونتائجه: «لقد اقترحت تطبيق اسم (المينوسية)على حضارة كريت المبكرة ككل»، وجرى تبني هذا الاقتراح عمومًا من قبل علماء الآثار في هذا البلد ودول أخرى. صرّح إيفانز أنه طبق الاسم، ولم يخترعه.

يعتبر الفن المينوسي من أجمل الفنون في البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجة وتوجد العديد من القطع المينوسية واللوحات في متحف كريت الحالي في عاصمة كريت إيراكليون. استخدم خزف والعديد من المعادن في تشييد هذه اللوحات والقطع المتوفرة والتي ترجع إلى 2500 سنة قبل الميلاد والتي ما زالت تحافظ على جمالها وألوانها الخلابة. ويغلب على هذه القطع الطريقة المينوسية الذي كان لها طابعها الخاص مع بعض تأثير فنون الحضارات المجاورة مثل الإغريق ومصر. [1]

[1] Ar.m.wekipedia.org

- **الحضارة اليونانية القديمة:**

نشأت الحضارة اليونانية القديمة على أرض دولة اليونان الحديثة وما حولها من البلدان في جنوب شرق أوروبا، ولكنها لم تكن دولة أو إمبراطورية يحكمها حاكم واحد، بل هي مصطلح يستخدم لوصف فترة زمنية ممتدة من 1200 قبل الميلاد إلى 323م نشأت فيها ثقافات ومدن وحكام وقبائل مختلفة.

وتعتبر الحضارة اليونانية القديمة من أكثر الحضارات القديمة تأثيرًا على الحضارة الإنسانية في شتى مجالات الحياة؛ السياسية والعلمية والثقافية وحتى الرياضية، فتعد أساسًا لقيام الثقافة الغربية بشكل عام، أيضًا اعتمدت عليها الإمبراطورية البيزنطية اعتمادًا شبه كامل في إنشاء التعاليم والتقاليد البيزنطية، واستخدم المسلمون علومها وثقافتها، وترجموها للعربية في العصور الذهبية الإسلامية، وكان تأثيرها سببًا في نشوء نهضة أوروبا الغربية، بل واستخدمت في إحياء الحركة النيوكلاسيكية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا و الأمريكيتين.

ساهمت الحضارة اليونانية القديمة في تطور الكثير من الحضارات الإنسانية من بعدها، وذلك لما تركته من إرث ثقافي، علمي، فني أثر على الإنسانية جمعاء، ومن أهم مجالات إبداعهم الفنية كان النحت من أبرز ما تميز به اليونانيون القدماء، مع أنهم تأثروا كثيرًا بالفن المصري والشرقي بشكل عام في عام 800 إلى 300 قبل الميلاد، إلّا أنهم ابتكروا رؤيتهم الفنية الخاصة بعدها، فتطور مفهومهم للفن والنحت بشكل خاص، حتى تأثرت به كافة الحضارات من بعدهم، وتميز النحاتون اليونانيون بنحت الشكل أو الجسم البشري، فنحتوا تماثيل بشرية، بطريقة عالية الدقة والجودة والجمال، فأصبحت تماثيلهم المصنوعة من الحجر والبرونز من أكثر المنحوتات الفنية شهرة على مر الأزمنة والعصور، حتى إن بعض الحضارات الأخرى تنافست في تقليدها، وكانت مهارتهم هذه ترجع إلى اهتمامهم بالتناسب والتوازن والكمال المثالي لجسم الإنسان.

أما بالنسبة للفن المعماري في الحضارة اليونانية القديمة، اهتم اليونانيون القدماء بالبساطة والنسبة والمنظور والانسجام في مبانيهم، فكانت مبانيهم من أرقى المباني وأكثرها

تميزًا في العالم القديم كاملًا، حيث أصبحت معابدهم ومسارحهم وملاعبهم، من أهم سمات ومميزات البلدات والمدن على مر الأزمنة والعصور، وساهم إرثهم العظيم في العمارة في التأثير بشكل كبير على المهندسين المعماريين في العالم الروماني، وعلى العالم الغربي منذ عصر النهضة إلى الوقت الحاضر.[1]

[1] Hadaarah.com

المطلب الثالث : العصر الاسلامي.

الفن الإسلامي:

أغلب فنون الحضارات الكبرى تنسب إلى مكان بذاته غير أن هذا الفن يتميز بامتداده إلى أبعاد مترامية من المكان ومع ذلك فقد ظل حافظا سمة مشتركة لا تخطئها العين أضفتها عليه عبقرية الدين وروح المكان تلاقيا معًا فصاغا نسيجا باهرًا متعدد الألوان ، اتسمت رقعته من الصين حتى الأندلس، وظل دائمًا حافظا لروحه مع اختلاف أشكاله ومشخصات الانتشار تبعا لاختلاف المكان.[1]

في بداية القرن السابع الميلادي، أصبحت الإمبراطورية الفارسية جزءا من الدولة الإسلامية الكبرى، وأثرت الفنون الفارسية في الفنون الإسلامية كما تأثرت بها هي الأخرى. تعد العمارة من الأوجه الفنية الهامة، إذ أولاها الفنانون المعماريون المسلمون أهمية قصوى لا أدل عليها أكثر من المباني والقصور والمساجد التي عرفتها الحضارة الإسلامية. أما فيما يخص الفنانين الفرس فتخلوا تدريجيا عن من النحت نظراً لبعض الفتاوى التي وردت فيه، وبالمقابل أخذ فن التصوير أهمية جديدة إلى جانب الفنون الزخرفية التي تواصل تطويرها وازدهارها. [2]

يشمل الفن الإسلامي الإنتاج الفني للمرحلة الممتدة من القرن السابع الميلادي إلى سقوط الدولة العثمانية سنة 1923م، ويخص المناطق التي اعتنقت الدين الإسلامي، وهي ممتد من الصين وتركستان شرقا إلى الأندلس وأقصى جبال الأطلس غربا.

منذ فجر الإسلام الفرد الفنانون المسلمون التطوير العنون، وعلى الخصوص فن العمارة والخط العربي والمنمنمات والزخرفة إلا أن حل الباحثون المسلمين أغفلوا هذا الجانب من حضارتهم لتغلب فكرة الرسم والنحت وصنع التماثيل في الوقت المعاصر من جهة، وتخوف

---

[1] بدر الدين ابو غازي، رواد الفن التشكيلي، هلا للنشر و التوزيع، الجيزة مصر، 2002، ط1 ،ص112

[2] نصر الدين بن طيب، تاريخ الفن , مرجع سابق، ص158

الكثير منهم التعرض لهذه المواضيع التي يتجادل العلماء في جوازها أو تحريمها من جهة أخرى.[1]

التصوير عند العرب:

كان التصوير على الجدران معروفًا عند العرب في الجاهلية والإسلام لم تخل منه أخبارهم وأشعارهم وكانت الكعبة المكرمة مصورة الجدران في الجاهلية تعظم صورها وتماثيلها تعظيم عبادة. فلما فتحت مكة أزيلت تلك الصور.[2]

خصائص الفن الاسلامي القديم:

-التزيين باستعمال الجبس والرخام كحامل للزخارف الإسلامية arabesques.

-أضاف العرب للخزف الإشعاع المعدني reflet métallique.

-ظهور فن المنمنمات Miniature عند الفرس والأمويين والعباسيين و في الهند لتناول

مواضيع دينية واجتماعية و ذات علاقة بالسلطان وغيرها.

-الخط العربي والحروفية : استعمل الفنان المسلم الخطوط العربية وخاصة الكوفي و الثلث ثم الفارسي على كل الحمائل المتوفرة من خشب و جص و رخام لإنجاز لوحات تفيض جمالا وهي تضم آيات من كتاب الله و قد استعمل بعض النقاد عبارة « الحروفية » للتعبير عن هوية هذا الفن المتميز عن الأساليب الغربية.

الزخرفة والرقش : حظي الرقش بأكبر نصيب من اهتمام الحرفيين و الفنانين العرب والمسلمين واستعملوا له مختلف الحمائل المختلفة حتى أصبح الخاصة المميزة للفن الإسلامي.[3]

***فن التصوير (Penture):**

---

[1] نصر الدين بن طيب، تاريخ الفن، مرجع سابق, ص228

[2] احمد تيمور باشا, التصوير عند العرب, هلا للنشر و التوزيع, الجيزة مصر 2002 ط1 ص27

[3] بتصرف حسن بوساحة، تاريخ الفن، مرجع سابق، ص58-59

تعد الجداريات الملونة (Fresques) وفن زخرفة المخطوطات (Ealuminure من التقاليد الفنية الفارسية التي بدأت مع حكم الساسانيين، لم يبق من هذه التحف القديمة إلا القليل.

أصبح التصوير خلال الدولة الفارسية الإسلامية من أهم الفنون، حيث أنجزت نسخ من القرآن الكريم بالخط الكوفي والتي كتبت على الرق بمدينتي البصرة والكوفة في نهاية القرن السابع الميلادي، هذه المخطوطات انعدمت فيها صور المناظر الواقعية والبشرية، وأرتكز جمالها على جمال وإبداعات الخط العربي وزخارفه، حيث شاع استعمالها في القرنين الثامن والتاسع الميلادي، أحد التصوير و فن زخرفة المخطوطات مرتبة مهمة في زخرفة مخطوطات القرن التاسع الميلادي.[1]

***الزخرفة:**

تعني الزخرفة بصفة عامة تزيين وتجميل الأشكال مع احترام طبيعتها وتعني أيضاً سعة الخيال في مختلف التطبيقات لإبداع أشكال ووضعيات جديدة في الموضوع. لا يخلو أي أثر من الآثار الإسلامية من زخرفة أو نقش تزييني، إن الإبداع الزخرفي عند الفنانين المسلمين كان مستوحى من الطبيعة، فاتبعوا أصول الجمال في تكوين المخلوقات ورأوا فيها التماثل والتكرار والتنوع والتشعب، فمحارب القيروان أصدق شاهد على نضجهم الفني، إلى جانب زخرفة الجدران نجد هذه الفنون الزخرفية مسخرة الأواني الفخارية والخزفية والمنسوجات والتحف المنقوشة والمصنوعة من الحجر والرخام والخشب والعاج.[2]

-الزخارف النباتية

-الزخارف الهندسية

[1] نصر الدين بن طيب، تاريخ الفن , مرجع سابق، ص162

[2] المرجع نفسه، ص244

*الرقش العربي وفلسفة الفن الإسلامي:

الفن الإسلامي يختلف عن سائر الفنون التي عرفتها الإنسانية فهو متميز بأسلوب خاص شكلا ومضمونا ولا يمكن لأي عارف أن يخلط بينه وبين غيره بمجرد رؤية عينات من المعمار أو العناصر الزخرفية التي تحفل بها الأشياء التي تفنن المبدع المسلم في إنجازها.

في البدء لابد من إقامة مقارنة بين الزخرفة والرقش لأن الفرق بينهما جوهري في المضمون التشكيلي والعقائدي الروحي. إذا كانت الأولى أي الزخرفة تعني الأشكال التزيينية الهندسية (أسلوب التعشيق) أو النباتية (أسلوب التوريق) أو الحيوانية أو الخطية (الخطوط العربية) التي يهدف من خلالها المزوق إلى ملء فراغات على القماش أو الخزف أو الخشب والجص والمرمر وغيرها من الحمائل المختلفة فإن الرقش تكوينات معقدة تملأ مساحات صغيرة أحيانا وكبيرة أحيانا أخرى مثل الجدران والأعمدة والأسقف والقباب وهي تشكيلات متكررة متشابكة ومتناسلة تنطلق في اتجاهات عديدة لكنها تمثل وحدة عضوية لا بداية لها ولا نهاية تتوسع كلما ازداد حجم الفضاء المتاح أمامها لتتمخض عن تحفة متنوعة في الوحدة كأنها ترتيل وتسبيح ومناجاة للخالق.

ومما لاشك فيه أيضا أن الفن الإسلامي هو من أقدم الفنون التجريدية في العالم قبل أن تظهر المدارس الحديثة التي اتخذت من التجريد منهجا فنيا وإيديولوجيا لأطروحات فكرية مواكبة للتطور الثقافي والتغيرات السياسية والاجتماعية المتواترة. وهذا التجريد الذي وسمه به مؤرخو الفن الغربيين له أصوله وقواعده وأشكاله ومعانيه المغايرة لما اتسمت به أشكال التعبير الفني السابقة واللاحقة. وقد يبدو بالموازنة مع الفنون الكلاسيكية والشرقية الهند صينية التي اعتمدت على الطبيعة، موغلا في الزخرفة والتزيين والرقش والتنميق.

وبعد الرقش جوهر الفن الإسلامي لأنه خلاصة مذهب فني اعتمد على زخرفة روحية، فقد حول الفنان المسلم كل اهتمامه إلى تجريد الأشياء من كيانها الواقعي ومظهرها الطبيعي

وجعل منها كيانا قائما بذاته يحمل دلالات باطنية تخاطب الروح أكثر مما تتوجه إلى الحواس.

إن الفنان العربي المسلم يُعتبر من وجهة نظر الغربيين حرفيا لأنه يكرر أشكالا تخلو من إشارات إلى الواقع وهو يختلف بذلك عن فنانيهم الذين تعودوا على رسم الأشخاص والطبيعة منذ الفن البدائي.[1]

***عبقرية العرب في خطوطهم:**

لم تعرف أمة في الكون خطا سلسا متينا تشكيليا مثل الخط العربي، وقد زاد من ثراه وجودته تأقلمه مع تراث الشعوب التي دخلها الإسلام فاتحا ناشرا كلمة الله القرآن الكريم. ومن المعلوم أن هذا الكتاب المقدس كتب في البدء بالخط الكوفي (نسبة إلى مدينة الكوفة وسط العراق). وكان من بين الخطوط القديمة المعروفة .

والمعروف أن أصل الكتابة العربية هو الخط النبطي نسبة إلى النبطيين الذين كانوا قبائل رحل قبل أن يتمكنوا من تأسيس مملكتهم في القرن الأول ق.م شمال الجزيرة العربية وعاصمتها البتراء الشهيرة. كان العرب في الجاهلية متعددي اللهجات وقد تمكن القريشيون من فرض لهجتهم على القبائل المتاخمة تسهيلا للتعامل التجاري في أكبر الأسواق آنذاك سوق عكاظ التي ظل الشعراء يتبارون فيها بأجمل قصائدهم التي تعلق الفائزة منها على أستار الكعبة بعد أن تكتب بماء الذهب وكانت تسمى المعلقات والمذهبات.

غير أن خلو الخط الكوفي الأصلي من النقاط والشكل جعل الأعاجم (من أصل غير عربي) يلحنون أي ينطقون بطريقة محرفة خاطئة تشوه المعاني وتحرّف النصوص سيما بعد نزول القرآن و بدت الحاجة ملحة لوضع ضوابط يلتزم بها الجميع. وضع أبو الأسود الدولي في القرن الأول الهجري نقاطا حمراء مع الحروف يلون الخط المكتوب، وفي العصر العباسي أضاف الخليل بن أحمد الفراهيدي الحركات المستعملة حاليا في الخط العربي.

[1] حسن بوساحة، تاريخ الفن، مرجع سابق، ص103

تعددت أساليب كتابة الخط العربي وحددت لها قواعد هندسية ومقاسات تعتمد على نقاط تمثل عادة طول قط القصبة اخترعها الوزير العباسي الملقب بشيخ الخطاطين أبو علي محمد بن مقلة. وأنشئت لذلك مدارس في بعض الأقطار العربية والإسلامية وبالخصوص في العراق ومصر وإيران وتركيا اشتهرت بخطوطها وخطاطيها ومن بينها الخط الكوفي والنسخ والثلث والرقعة والديواني والفارسي والمغربي أحاطها الملوك والسلاطين والحكام وعامة الناس بعناية فائقة وحددوا لها مجالات فكان النسخ للمصاحف والكوفي للزخرفة والديواني للمراسلات الرسمية والفارسي للعناوين والرقعة للمعاملات اليومية.

ولا يزال الخط العربي يتطور يوما بعد يوم باجتهاد المبدعين في الكتابة والزخرفة والتذهيب وإنتاج البرمجيات التي تفرز المئات من الخطوط المستوحاة من التراث. من المدارس التشكيلية التي استعملت الخط قاعدة للوحات فنية "الكتابية" أو "الحروفية"، وهي عبارة عن تشكيلات بمختلف الخطوط استعملت فيها ألوان وخامات متنوعة على حمائل مختلفة مما جعلها تفتح آفاقا أخرى لاستعمال الخط العربي في الفنون الجميلة. [1]

[1] حسن بوساحة، تاريخ الفن، مرجع سابق، ص183

المبحث الثالث : اشهر رسامي الجداريات.

المطلب الأول : فنانو الغرب:

- **ليوناردو دافنشي:**

ليوناردو دافنشي، أحد أبرز فناني عصر النهضة، ولد عام 1452م في إيطاليا، وعُرف بكونه عالم فلك ورياضيات وفيزياء وجيولوجيا ونبات وخرائط، واشتُهر بمهنتي الرسم والنحت، وتميز في الهندسة الحربية والمعمارية، كما أسهم في الطب والأدب، ويعدّ موسيقارًا كذلك، تُوفي في فرنسا عام 1519.

المولد والنشأة : وُلد ليوناردو دي سير بيرو دافنشي في أبريل/نيسان 1452م داخل مزرعة خارج بلدة فينشي بمقاطعة فلورنسا شمال وسط إيطاليا، ومن هذه البلدة اكتسب اسمه (دافنشي).

ولد دافنشي لأبوين غير متزوجين، والده فلورنتين الذي كان ينتمي لطبقة النبلاء، وأمه المزارعة كاترينا، وبقي في كنف أبيه المتزوج من امرأة أخرى.

في سن الخامسة انتقل للعيش مع أعمامه وجديه في فينشي، وبعدها نشأ وكبر في مدينة البندقية، وتطور حبه للطبيعة هناك، وظهرت مواهبه وقدراته العلمية والفنية وقتها.

في عام 1466م انتقل دافنشي إلى مدينة فلورنسا، وبدأ العمل في ورشة المعلم فيروشيو، وهناك ظهرت موهبته التي أذهل بها أستاذه، وتعلم على يديه حتى بدأ يبدع أساليبه الخاصة.

الدراسة والتكوين العلمي : تعلم القراءة والكتابة والقليل من الرياضيات، وظهرت مواهبه الفنية منذ صغره، وفي الـ14 من عمره عام 1466م بدأ التعلم على يدي الفنان الإيطالي أندريا ديل فروكيو بمرسمه في فلورنسا، ووقتها تعلم أنواعًا عدة من الفنون؛ منها: النحت والرسم والفنون الجلدية والنجارة، والعمل بالمعادن أيضًا.

التجربة الفنية : بعد عمله في ورشة "فروكيو" بدأ يطوّر أسلوبه الخاص بعيدًا عن نمط أستاذه الرتيب، وبدأ برسم أولى أعماله، لكنه سافر إلى ميلان. وفي عام 1478م جاءه عرض للعمل بشكل مستقل من أجل تزيين مذبح كنيسة قصر فيشيو بفلورنسا، لكنه لم يكمله.

عندما بلغ العشرين من عمره أسّس ورشته الخاصة، وبعدها صار مؤهلًا ليكون عضوًا في نقابة فناني القديس لوك بفلورنسا، وبقي يعمل مع أستاذه خمس سنوات إضافية عام 1482م انتقل دافنشي للعمل رسامًا في بلاط لودوفيكو سفورزا في ميلان، بعدها طلب العمل عند ملك إيطاليا مركزا في طلبه على مهاراته في الهندسة الحربية، وأرسل له أعمالًا كثيرة، وبقي يعمل هناك قرابة 16 عامًا.

في تلك الفترة رسم لوحته المشهورة "العشاء الأخير" التي رسم فيها المسيح -عليه السلام- وفقًا للمعتقدات المسيحية، والتي تشرح مشهدًا ذُكِر في الأناجيل الأربعة، عبّر بها دافنشي عن لحظة الخيانة الوشيكة من أحد تلاميذ المسيح قبل صلبه، حسب ما تقول الرواية المسيحية.

هذه اللوحة حاول فيها دافنشي استعمال أسلوب جديد بألوان جديدة، محاولًا اتباع طريقة الرسم بالألوان الزيتية مع اعتماد المؤثرات المرئية ذاتها التي اشتهر بها.

ورغم الشهرة الكبيرة لذلك العمل, لكن النتيجة عُدّت كارثية ومخفقة لأن اللوحة بدأت بالبهوت والتلاشي بعد بضعة عقود, إثر تسرعه في الرسم على جبس مبتلّ، مما تسبب بتضررها ومحو معظم ملامح شخصياتها، فلم يبق منها إلا القليل رغم محاولات إعادة رسمها.

وبعدما تعرض بلاط لودوفيكو سفورزا للغزو من الفرنسيين، عاد دافنشي لفلورنسا، وهناك أكمل لوحة "معركة أنغياري"، التي تحتفي بانتصار فلورنسا على ميلانو في القرن الخامس عشر[1].

هذه اللوحة مفقودة في الوقت الحالي، يُشارُ إليها أحياناً باسم «ليوناردو المفقود». يعتقد بعض المعلقين بأنها لا تزال مخبأة تحت واحدة من الصور الجصية المرسومة في وقت لاحق في صالون دي سينكويسينتو (القاعة خمسمائة) في قصر فيكيو في فلورنسا.[2]

---

[1] Aljazeera.net

[2] Ar.m.Wikipedia.org

بين عامي 1506م و1510م كان دافنشي يعمل لصالح الملك الفرنسي لويس الثاني عشر، ليسافر بعدها إلى روما ويعمل لصالح البابا ليو العاشر هناك عام 1513م، ووقتها بدأ العمل مع فنانين معاصرين.

فكره : كان دافنشي يؤمن أن البصر أهم حاسة للإنسان، وأن العين أهم الأعضاء البشرية، فكان دائمًا يؤكد أهمية "كيف نرى" من أجل مراكمة المعلومات البصرية وتحويلها لمعارف وملاحظات دقيقة، ولا يكتفي بالعلم النظري، بل كان يلحّ كثيرًا على التجربة.

وكان همّه استيعاب الطريقة التي تعمل بها الطبيعة، ليخرج بقوانين رياضية، ومعارف يبني عليها منهجه، حيث تطور فكره لصنع الآلة بعد مراقبة حركة الطيور، وفهم تفرع الدورة الدموية، بعد مراقبة تفرع البراعم من الأغصان التي خرج منها بقانون "تفرع الأغصان"، والتي رآها من قوانين الطبيعة، حيث إن الأنهار تتفرع بالطريقة ذاتها.

الوفاة : تُوفي في قصر كلو لوسي عام 1519 عن عمر يناهز 67، بعدما غادر روما عام 1515 ليتجه إلى القلعة بدعوة من الملك الفرنسي فرانسيس الأول، حيث أكمل سنواته الأخيرة يعمل على دراساته الخاصة في الرياضيات والعلوم، حتى تُوفي جراء سكتة دماغية أدّت لوفاته، دُفن في كنيسة سانت فلورنتين في أمبواز، وورثه متدربه السابق وصديقه ميلزي .[1]

- **جدارية العشاء الأخير:**

يعتقد البعض أن اللوحة تسرع ورسمها على طبقة جصية مبلولة أدى إلى سرعة بهتانها و يرى البعض الآخر أن الرسام لم يستعمل تقنية الفريسكو في هذه اللوحة بل لجأ إلى التلوين المباشر على الحائط وذلك لكي يحصل على حرية أكبر في تنويع الألوان وأدى ذلك إلى سرعة تلف اللوحة واحتياجها إلى عمليات ترميم متعددة كان أولها بعد عشرين عاما فقط من إنهائها.[2]

أثارت هذه اللوحة الكثير من التساؤلات عن شخصية ليوناردو دافينشي حيث تحتوي العديد من العناصر التي لا تنتمي إلى المفاهيم المسيحية التقليدية التي رسمت اللوحة

---

[1] aljazeera.net

[2] بتصرف wikipedia.org

أساسا للتعبير عنها. يعتقد البعض أن هذه اللوحة ضمن العديد من أعمال دافينشي تحتوي على إشارات خاصة إلى عقيدة سرية مخالفة للعقيدة المسيحية الكاثوليكية التي كانت ذات سلطة مطلقة في ذلك العصر.

أثيرت أسئلة كثيرة حول شخصية يوحنا في لوحة العشاء الأخير للفنان ليوناردو دافينشي والذي كان موقعه فيها إلى جانب المسيح حيث قدمته الرواية على أنه مريم المجدلية، ولكن بكل الأحوال جنح معظم الفنانين المعاصرين لدا فينشي بإيحاء من روايات التقليد الكنسي على تصوير يوحنا في لوحاتهم على أنه شاب يافع جدا لم تنبت لحيته بعد، وهو ذو ملامح أنثوية تماما كالعادة التي درجوا عليها برسم شبان إيطاليا في ذلك الوقت، وتجدر الملاحظة إلى وجود بعض اللوحات لهؤلاء الرسامين تظهر الرسل الآخرين أيضا بذات المظهر الأنثوي.

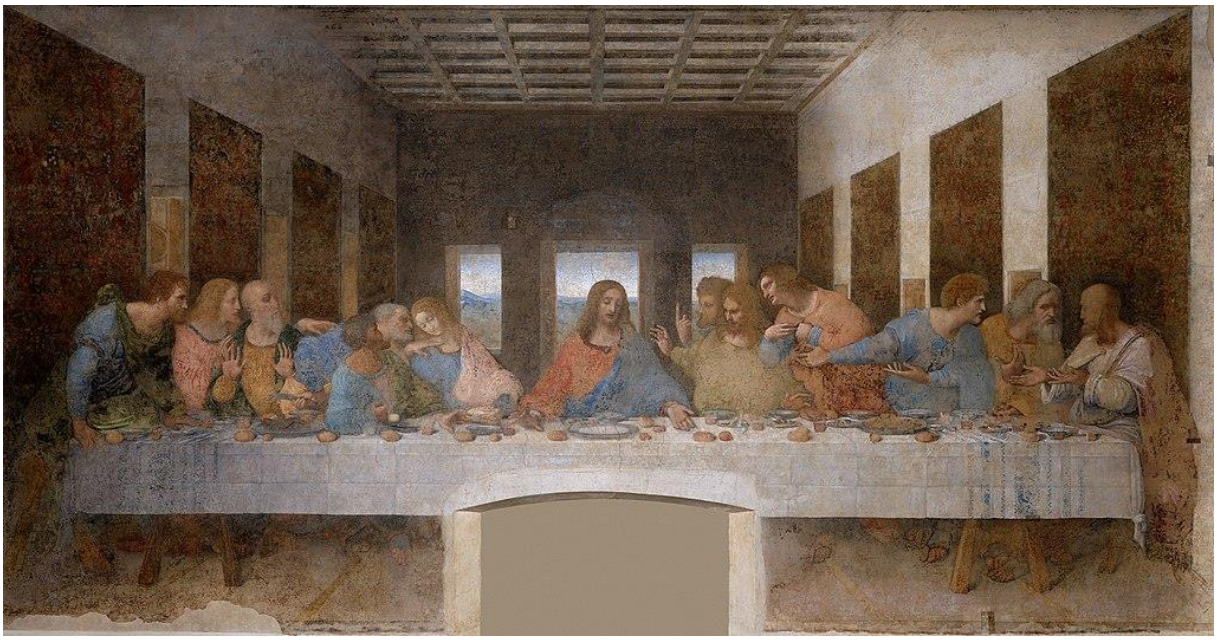

تاريخ الإنشاء : 1498

نوع العمل : جصية من تمبرا و جسو

القياس : 700×880 سم

الموقع : كنيسة سانتا ماريا ديلي غراسي ميلان إيطاليا.[1]

- **جدارية غرفة البرج:**

[1] ينظر ar.m.Wikipedia.org

وفي ميلانو, داخل قلعة سفورزا، هناك إرث مهم من تأليف ليوناردو دافنشي (لوحة غرفة البرج)، وهي غرفة ذات جدران مطلية بـ (trompe l'œil) رائعة، تصور جذوع وأوراق وفواكه وعقدة، كما لو كانت في الهواء الطلق وليس داخل القلعة غرفة البرج أو غرفة الألواح الخشبية (Sala delle Asse)، هو موقع لطلاء الجدران والسقف في درجات حرارة على الجص، من النباتات المزينة (المتشابكة مع الفواكه وأحادي اللون من الجذور والصخور)، التي يرجع تاريخها إلى حوالي 1498 وتقع في كاستيلو سفورزيسكو في ميلانو.

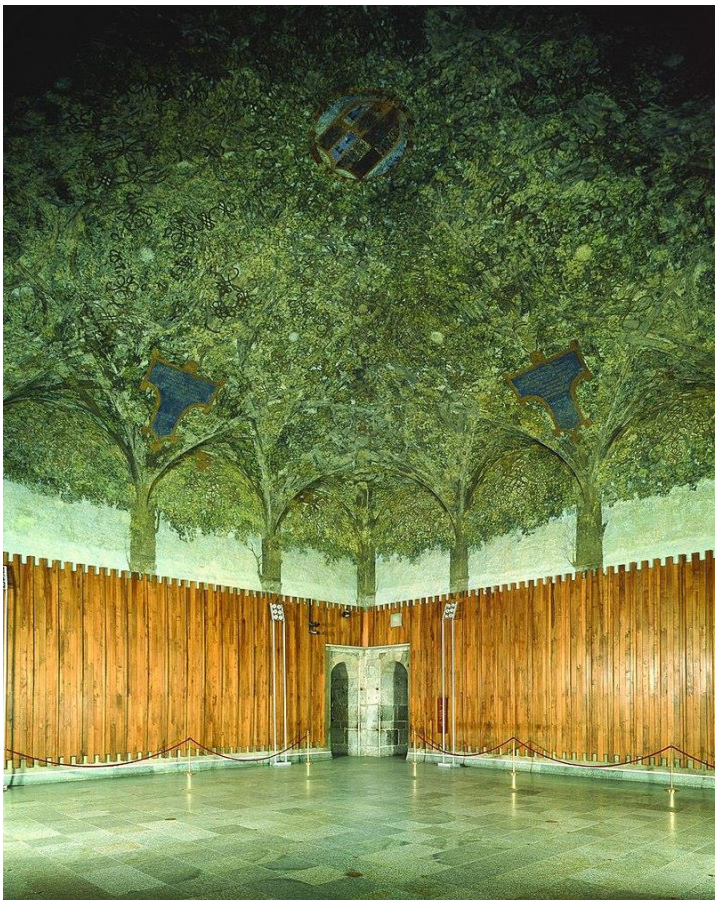

جدارية غرفة البرج لليوناردو دافنشي

تاريخ الإنشاء : 1498

الموقع : قلعة سفورزا بيناكوتيكا في ميلانو[1]

[1] Wikipédia.org

تقنية: طلاء في درجات حرارة على الجص.[1]

- **مايكل أنجلو:**

في وقت ازدهار عصر النهضة الإيطالية، ولد الطفل مايكل أنجلو بوناروتي يوم 6مارس/آذار 1475، حيث كان أبوه عاملا في محاجر رخام ستيناتو بالقرب من فلورنسا، ولهذا أصبحت محاجر الرخام عالمه الأقرب.

بدأ منذ سن مبكرة استخدام الإزميل لتشكيل قطع نحتية بارعة الوجوه والأجسام، وفي عمر الثالثة عشرة أصبح تلميذا في مرسم الفنان دومينيكو جيرلانداىو، الذي اعتاد على تصوير القصص المقدسة في لوحاته بأسلوب بسيط ويومي، بعيد عن هالة القدسية المعتادة في تسجيل هذا النوع من المشاهد في اللوحات.

برع مايكل أنجلو في المهارات التقنية والحيل الفنية، بالإضافة إلى إتقانه فن الرسم، لكنه لم يتفق مع أسلوب أستاذه السهل المتداول، بل بدأ دراسة أساليب الأساتذة السابقين، أمثال جيوتو و مازاتشيو، و دوناتيلو في الأعمال الموجودة بكنائس فلرونسا.

بعد عام واحد مع أستاذه، هجره ليلتحق بمدرسة النحت في حدائق آل مديتشي التي تضم مجموعة من التماثيل اليونانية والرومانية القديمة، ومن خلال دراستها تعرف إلى أسرار تصوير حركة الجسم الإنساني بكامل آثارها على العضلات والعروق، وبدأ دراسة التشريح وتطبيق ما يتعلمه من خلال رسم نماذج بشرية حية.

بدأ مايكل أنجلو في حدائق مديتشي نحت أول أعماله: رأس تمثال جني الغاب "فون" الذي لفت الأنظار إليه، وكان سببا في دعوته من أمير فلورنسا الأمير لورنزو للإقامة في قصره، مع كبار الأدباء والفنانين والفلاسفة الذين صاغو فلسفة المذهب الإنساني في ذلك الوقت.

مايكل أنجلو مصورا ورساما: كان أحد أهم أهداف مايكل أنجلو في الرسم هو تسجيل أقصى درجات الحركة في أضيق مساحة متاحة، مما يؤكد على المعنى التشكيلي الحقيقي لتطويع الصورة، ولم يكن غير الجسد الإنساني في نظره يستحق التمثيل والتسجيل، وكان

[1] kachaf.com

عنصر الحركة والقيمة اللمسية صفتان فنيتان لا غنى عنهما في تمثيل شخوص مايكل أنجلو، الذي كان يعتبر العري هو الطريقة الوحيدة لملاحظة توتر العضلات وتفاصيل البشرة وإيماءات الجسد.[1]

- **لوحة خلق آدم:**

من بين جميع الجداريات الرائعة التي تزدحم بالسقف الهائل لكنيسة سيستين في الفاتيكان، فإن جدارية خلق آدم هي وبلا شك أكثر التحف الفنية إثارة للإعجاب فهي تعطي رؤية واحدة عظيمة غير مسبوقة ومنقطعة النظير لرفعة الله والنبل المحتمل الكامن في الإنسان في تاريخ الفن البصري لنتاج البشرية بأكمله.

عاش **مايكل أنجلو بوناروتي** من عام 1475 إلى 1564 م وأصبح أحد أشهر فناني عصر النهضة الإيطاليين. على الرغم من أن مايكل أنجلو كان يعتبر نفسه دائماً نحاتاً أكثر من رسام، إلا أنه رسم سلسلة من اللوحات الجدارية على سقف **كنيسة سيستينا** في مدينة الفاتيكان من سنة 1508 ولغاية 1512 والتي تصور العديد من القصص من الكتاب المقدس. ربما كانت الصورة الأكثر شهرة في سقف الكنيسة هي خلق آدم، التي يصور فيها الله وهو يمنح الحياة للإنسان الأول أي آدم.[2]

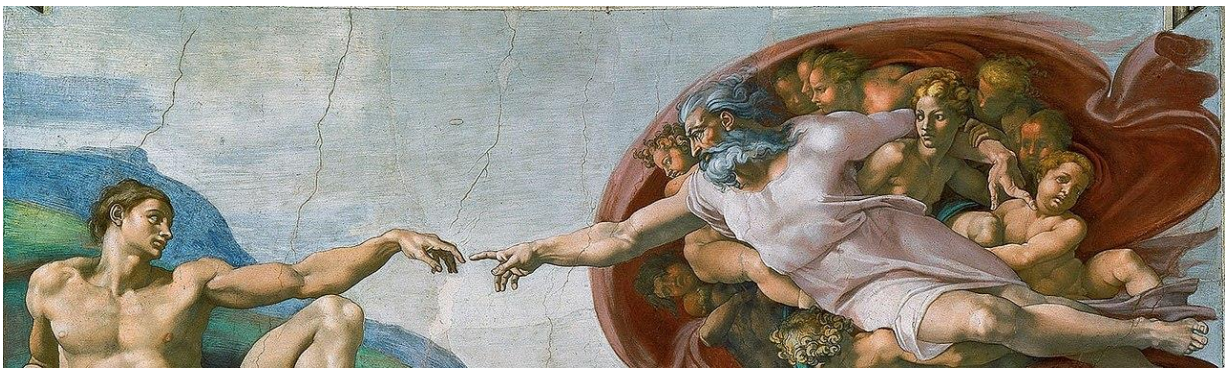

تاريخ الإنشاء : 1512

الموقع : كنيسة سيستينا

تقنية: طلاء في درجات حرارة على الجص.

---

[1] Aljazeera.net

[2] Azima.org

المطلب الثاني: فنانين جزائريين.

- **محمد راسم:**

محمد راسم رائد المنمنمات في العالم الإسلامي المعاصر. وُلد في الجزائر في 24 جوان 1896 بين أحضان عائلة عريقة ميسورة الحال مترسخة في التقاليد الفنية. كان أبوه علي بارعا في النحت والتصوير على الأواني الخزفية والزليج والمرايا وصناديق العرائس والأبواب والأسلحة وأدوات الزينة وغيرها من التحف التي كانت تستعمل للتأثيث والتزيين كما مارس عمه وأخوه الأكبر عمر المهنة نفسها تحت أنظار الصبي محمد الذي ما انفك يطلع على أسرار فن الزخرفة والمنمنمات ويصقل موهبته بالاطلاع على الأواني والملابس التركية التي تشغل حيزا كبيرا في دور المترفين ترعرع الفنان القدير وسط فضاء حافل بالأعمال الفنية والألوان والمناظر الخلابة فكان يرسم أحيانا ويصور ويضع الأصباغ أحيانا أخرى مساهما في المشاريع العائلية الكبيرة حتى نضجت خبرته وتدعمت مطالعاته ودراسته المعمقة في مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر (1910). اطلع سنة 1914 على كتاب "ثلاثة شهور عبر خراسان" لهنري ولمان فأعجبته المائيات والزخارف البدائية التي رافقت نصوص الكتاب واجتهد في بلوغ الذروة على غرار المبدعين الخراسانيين والفرس والمغول. تعددت إنجازاته المتميزة وتنوعت بين الزخرفة واللوحات الخطية ورسم المراكب البحرية والمشاهد الطبيعية ومظاهر الحياة العامة الداخلية وفي الأسواق العربية القديمة على الطراز التركي مثل القصبة التي حافظت على أصالتها رغم محاولات الاستعمار الفرنسي في مسخ الشخصية الجزائرية) بقي محمد راسم، كما تقول الدكتورة زينات البيطار محافظا على الطابع التزييني للشكل العام وعلى شاعرية رفيعة تبرز في اختياره الدائم لعناصر الطبيعة الغناء فلا تخلو صورة الشرق من ارتباط الإنسان ببيئته وطبيعته وهي نزعة رومنسية تميز الروح الشرقية).

من أشهر المصنفات التي زخرفها أو رسم منمنماتها كتاب "سيرة محمد" (ص) الذي ساهم في تزيينه الفنان نصر الدين دينيه. انتقل راسم إلى باريس حيث أثرى معارفه التاريخية في قسم المخطوطات في المكتبة الوطنية ثم سافر إلى إسبانيا (1921) ليتشبع من التراث العربي الإسلامي الموروث عن الأندلس وتمخضت سفرياته على رصيد هائل من المعطيات التي

ترجمها في رسومات ومنمنمات عبر كتب عديدة مثل ألف ليلة وليلة (1924) وحديقة الورود" للسعدي والسلطانة "لمارافال" وتاريخ الإسلام حتى زمن السلطان عبد الحميد و "عمر الخيام" للكاتب الإنجليزي براون وغيرها نال المرحوم محمد راسم وسام المستشرقين في باريس عام 1924 والعديد من الشهادات الفخرية وانتخب عضوا شرفيا في التجمع الملكي الفني في بريطانيا سنة 1950.

إن محمد راسم عبقري فذ في اختصاصه، أعاد للفن التصغيري أي المنمنمات الإسلامية بريقه وتألقه وقد أضاف له كثيرا من العناصر التي منحته المقدرة على احتواء التراث الجزائري والعربي الإسلامي من ذلك استعمال البعد الثالث والرسم بالألوان الزاهية واحترام المنظور والاجتهاد في ترجمة العواطف الشخصية من خلال ملامح الوجه مع التنويع في الوضعيات باحترام نسب الأجسام وإدماج كل التشكيلات في أوساط داخلية وخارجية تفنن في توظيف زخرفها ورقشها وتنويع أشكالها الهندسية والنباتية وخطوطها العربية بمهارة نادرة وبراعة متناهية.[1]

أسس محمد راسم فرعا في المدرسة العليا للفنون الجميلة بالجزائر العاصمة لتدريس المنمنمات بداية من سنة 1934 تخرج منه عشرات الطلبة الذين لا يزالون يشرون المشهد الثقافي الجزائري والدولي. قال عنه الأستاذ جورج مرسيه : و إنه فنان مبدع فتح من جديد أبواب القصور الساحرة على مصراعيها، وأعاد للروض أزهاره وإشراقه، وفجر النافورات المائية فوق الأحواض الرخامية ..... انتقل الفنان إلى رحمة ربه صحبة حرمه في ظروف غامضة ليلة 30 مارس 1975 تاركا وراءه لوحة فنية تحمل في طياتها فخر الجزائريين والعرب والمسلمين على السواء.[2]

- **لوحة شرفات القصبة:**

[1] حسن بوساحة، تاريخ الفن، مرجع سابق، ص138

[2] المرجع نفسه، ص139

في لوحته «شرفات القصبة» التي نقف أمامها هنا، يتجلى بشكل مباشر أسلوب محمد راسم الفني، كما يمكننا أن نقرأ أيضاً الخطاب التاريخي الذي تتضمنه معظم أعماله والمستمد من عصره وقيمه وقناعاته.

فعلى المستويين الشكلي والجمالي، يلحظ المشاهد فوراً الحضور القوي لأبرز خصائص الرسم الإسلامي التقليدي، من خلال اعتماد الفنان الرسم بالخط أولاً، وبشكل يبقيه ظاهراً بقوة، ومن ثم تعبئة المساحات المختلفة بالألوان المناسبة، من دون اكتراث لقولبة الأحجام بالظلال التي تبقى هنا مجرد خطوط غليظة. فالرجل الذي كان قد اكتسب المهارات التقنية الأساسية في الرسم من مشغل العائلة أولاً، ثم من الدراسة في مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر، وسّع اطلاعه على فن المنمنمات بأسفاره إلى باريس وقرطبة وغرناطة، ومن ثم إلى القاهرة وروما وفيينا وبوخارست ولندن وغيرها، وسمحت له هذه الرحلات بالاطلاع عن كثب ليس فقط على ما في مكتباتها ومتاحفها من منمنمات، بل أيضاً على أصول الرسم الأوربي. وهذا ما سمح له أن ينطلق بالمنمنمة الإسلامية إلى رحاب جديدة، وأن يضفي عليها عناصر شكلية كانت غائبة عنها آنذاك، أولها أخذ البعد الثالث بعين الاعتبار، كما نرى هنا في التدرج الدقيق من الشرفة القريبة من عين المشاهد، إلى البحر في الأفق البعيد. و ثانيها، التعبير عن الوقت، وأي فترة من اليوم يجري فيها هذا الحدث، وهذا كان غير معروف في الرسم الإسلامي التقليدي. وهنا، نرى من اللون الذهبي في السماء، والصفرة الطاغية على اللوحة، أننا أمام مشهد وقت العصر تقريباً.

هذا على صعيد الشكل الجمالي والتقني، أما على صعيد المضمون، فلم يحد يوماً الفنان، الذي بدأ مسيرته في زمن الاستعمار الفرنسي للجزائر، عن التشبث بهويته الوطنية والثقافية، وصولاً إلى معايشته لحرب الاستقلال، وما بعد الاستقلال.

ولربما كان تخصيص كل حياته الفنية للمنمنمات الإسلامية ناجماً عن رفضه الإنصهار في الثقافة التي حاول الاستعمار الفرنسي فرضها على الجزائر. ومواضيع الكثير من أعماله تؤكد تارة بشكل مباشر قيمه العليا مثل صور الشخصيات الوطنية التاريخية والمعارك

الحربية، وتهمس تارة أخرى بهذا الخطاب همساً وبصيغة في غاية الأناقة، كما هي حال مشاهد الحياة اليومية، و«شرفات القصبة» واحدة منها.

في هذه اللوحة، نرى شرفات وسطوح القصبة كما كانت قبل أكثر من قرن على رسمها، أي قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر، تدل على ذلك ملابس النساء والسفن الشراعية القديمة في الميناء، قبل «تحديثه» على أيدي الفرنسيين الذين حولوه إلى مجمّع للمستوعبات والمستودعات.[1]

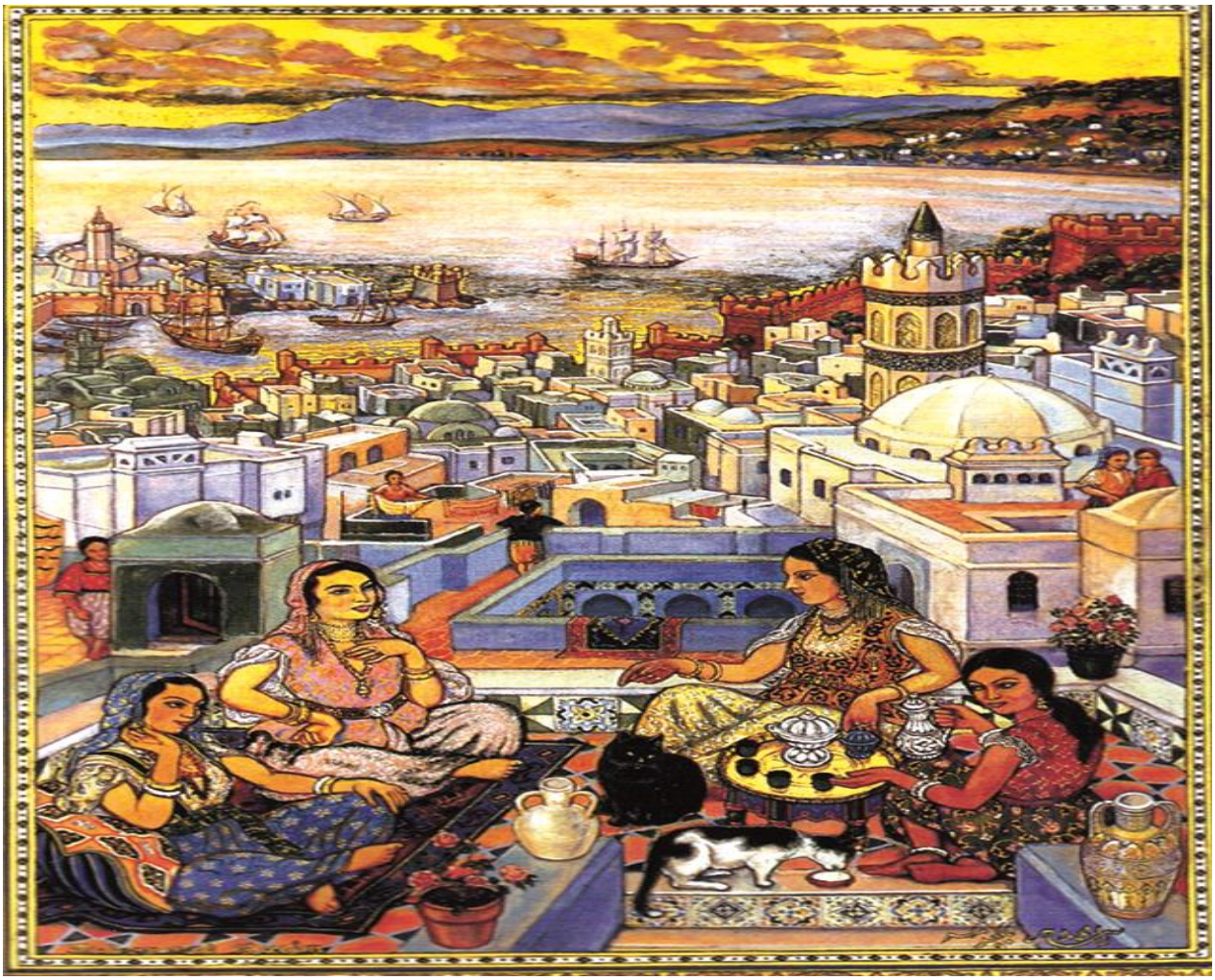

لوحة شرفات القصبة

خاتمة الفصل الأول:

[1] alarabi.nccal.gov.kw

تاريخ التصوير الجداري يمتد لآلاف السنين، وقد يعود إلى العصور القديمة في مختلف الثقافات والحضارات. كانت الجدران المزخرفة بالصور والرسومات جزءًا من التعبير الفني والتواصل في مجتمعات مختلفة حول العالم.

في مصر القديمة، يمكننا رؤية أحد أقدم أشكال التصوير الجداري في أهراماتها ومعابدها. وتم استخدام الجدران المزخرفة لتوثيق المعارك والأحداث التاريخية والرموز الدينية والحكايات الأسطورية.

أيضًا في الحضارة الإسلامية، عُثر على تصوير جداري في الفسيفساء والملصقات الحائطية التي تجسدت في الأعمال الفنية المبتعدة عن تصوير الإنسان و الحيوان و انحيازها للزخرفة و الفسيفساء و الخط العربي.

وغيرها الكثير من التفاصيل فنرى أن تلك العصور و الحضارات المتزامنة تعد المهد الأول لفن التصوير ولها الفضل الأكبر في تطوره و كثرة تداوله للتعبير و إيصال الرسائل بطرق غير مسموعة ولا ملموسة بل بتعابير و رموز.

الفصل الثاني

جماليات فن التصوير الجداري في الجزائر

المبحث الأول: جماليات فن التصوير الجداري

تمهيد:

انتشر التصوير الجداري بشكل كبير خلال القرون الأخيرة على اختلاف تقنياته وأساليبه و توجهاته ,فهي انعكاس لواقع الشعوب و جزء من نسيج المدن و هو حليف لهم ومرآتهم والتي تعكس نفسيتهم و تعبر عنهم. كان ولا زال الإنسان في مختلف الحضارات في تقديم رسالة الفن إلى المجتمع بجميع طبقاته من خلال العديد من الوسائط و الطرق و التي يعتبر التصوير الجداري أولها و أهمها و الدليل تواجده و تزامنه مع جميع الحضارات من الإنسان البدائي في العصور الحجرية إلى يومنا هذا يعبر عنه الفلاسفة لأنه أم الفنون و مهدها.

المطلب الأول: البدايات الاولى للتصوير الجداري في الجزائر.

للجزائر تراث ثقافي عريق يمتد عبر آلاف السنين لقد عثر الباحثون على آثار للإنسان المعتدل في العصر الحجري القديم أي ما يقارب المليون سنة بمنجم الحنش (ولاية سطيف)، وفي مناطق أخرى باليزي وبئر العاتر جنوب مدينة تبسة، والأطلس التلي الغربي عن الأدوات الحجرية والعظمية محفوظة في المتاحف الوطنية لعل أهم مخلفات إنسان العصر الحجري الجديد هاته الآثار خلفها إنسان المغاور عندما كانت معيشته تقتصر على الصيد والقطف ولم تبق منها إلا بعض الادوات الحجرية والعظمية محفوظه في المتاحف الوطنية. لعل هذه مخلفات إنسان العصر الحجري الجديد من آثار طاسيلي الشهيرة في الهقار جنوب شرق الجزائر وتعود إلى ما قبل الألفية الرابعة ق.م حين بدأ الإنسان البدائي يرسم بالألوان وينقش بحجر السيلكس على الصخور الحيوانات ومشاهد الصيد وإشارات للحياة البدائية المتطورة التي مرت، حسب العارفين بعلم الآثار بخمس محطات بداية من مرحلة الثور العظيم وانتهاء بمرحلة الجمل وقد تنوعت الرسومات بأشكالها وألوانها ومواضيعها وخط التيفناغ، وهي تبرهن على أن الصحراء الجزائرية كانت غنية بالنباتات والحيوانات التي بدأت تنقرض مع تغير المناخ.

ولابد من انتظار أواخر القرن الحادي عشر ق.م لينشئ الفينيقيون الذين قدموا من السواحل الشرقية للمتوسط (لبنان اليوم تقريبا) عدة مصارف في شمال إفريقيا من أشهرها قرطاج في تونس وبونة (عنابة) وتيبازة بالجزائر. اتصل بهم الأهالي من القبائل النوميدية لغرض التجارة ومن الأكيد أن التجار الفينيقيين قد حملوا معهم منتوجات خزفية وأقمشة وأدوات أخرى زينت بكثير من الرسومات القديمة المستوحاة من الحضارات البابلية والفارسية والمصرية وحتى الهندية لما تميزت به منطقة الشرق الأوسط من حركية في تنقل القبائل والبضائع منذ فجر التاريخ.

تسارعت من بعد ذلك الأحداث فها هي الحروب البونيقية تنشب بين الرومان والفينيقيين مدعومين من أمراء إفريقيا في نزاع طويل للسيطرة على مرافئ التجارة في البحر المتوسط. ينتصر الرومان ومن بعدهم الوندال والبيزنطيون فيتغلغلون في داخل البلاد مستعمرين على غير ما فعل الفينيقيون المسالمون ويُنشئون مدنا تولى قيادتها قناصلُ يُعينهم أباطرة روما وبيزنطة فظهرت للوجود مدن كثيرة مثل هيبون (عنابة) وتفست (تبسة) وسيرتا (قسنطينة) وتيمقاد (قرب باتنة) و إجيجلي (جيجل) ويول (شرشال) وتنس وغيرها بالعشرات على امتداد خمسة قرون أبرمت معاهدات بين أمراء نوميديا والغزاة ولاشك أن ذلك مكن الحرفيين من الاطلاع على تقنيات البناء وتشييد المُدن وصناعة الخزف وتزيين القصور والحمامات ودور الضباط السّامين بالفسيفساء والمنحوتات المستوردة والمنجزة خصيصا للأمراء المحليين أمثال سيفاكس وماسنيسا ويوغرطة ويوبا وغيرهم.

بداية من القرن 7م فتح العرب المسلمون البلاد رغم المقاومة العنيدة للأمازيغ ونشروا الإسلام واللغة العربية، ومرة أخرى يُسهم الأهالي في زرع بذور الحضارة الإسلامية في ربوع المغرب العربي بما شيد من مساجد وقصور ومدن جديدة مثل بجاية وتلمسان عن طريق دويلات مثل الرستمية والفاطمية والحمادية و الموحدية والزيانية حتى مجيء الأتراك في بداية القرن 16... تخضعُ المنطقة مرة أخرى من أجل خيراتها وموقعها الاستراتيجي، إلى

الاستعمار الفرنسي بداية من سنة 1830، ويعمل الفرنسيون من أجل طمس الشخصية الجزائرية الفتية وتأخذ الفنون المعمارية والتشكيلية.[1]

بكل أصنافها في التسرب عبر المدارس إلى استبدال العادات والتقاليد الموروثة، انخرط كثير من الفنانين الجزائريين في المدارس الفنية الحديثة لكنهم ظلوا يحنون إلى ترائهم التليد و ما أن جاءت بشرى الاستقلال 1962 بعد مقاومة طويلة وحرب تحريرية دامية حتى استعاد الجزائريون زمام فنونهم الشعبية والمعاصرة وهم اليوم يسهمون بفخر في إثراء التراث الإنساني. أنشئت الحظيرة الوطنية للطا سيلي سنة 1974 قبل أن تُصنف من طرف اليونسكو ضمن التراث العالمي سنة 1982.[2]

- **<u>تعاقب الحضارات:</u>**

*العصر الحجري القديم: من 6000.000 إلى 1200 سنة ق.م (الباليوليتيك):

عاش الإنسان في كهوف وأكواخ بدائية واصطاد الحيوانات واستغل جلودها كلباس وعاش على تناول النبتات الطازجة، واستخدم النار والشظايا الحجرية وصنع الفؤوس اليدوية

*العصر الحجري المتوسط: 1200 إلى 8000سنة ق.م (الميزوليتك): استعمل عظام الحيوانات ، وبيض النعامة لصنع الأواني ، أما جمع الطعام استمر خلال العصرين الحجري القديم والمتوسط ، كما كان عندهم أهمية للفن كلغة للتواصل وابلاغ الاخرين بوجود اشخاص بالمنطقة كالتي وجدت في صحراء الجزائر (كهوف الطاسيلي)

***العصر الحجري الحديث:8000 إلى 3100 سنة ق.م (النيوليتيك):**

اكتشف الإنسان في هذه الفترة الزراعة التي حلت محل الصيد، وتحولت حياته من جامع للغذاء إلى منتج له، وصناعة الفخار، وصقل الحجارة، والحياكة وبناء المساكن. واستطاع بواسطة الأسلحة والأدوات أن تقضي على المسافة التي تفصلها عن الطريدة أو النبات فقد أصبحت من جهة أخرى يسعى من أجل إدخال نظام على الفوضى السائدة، بواسطة

[1] حسن بوساحة، تاريخ الفن، مرجع سابق، ص92

[2] ينظر المرجع نفسه، ص93

الطقوس والهياكل والتزيين والرسم الجداري والنحت ولو أدى بهم ذلك إلى تسجيله في حيز الطبيعة.[1]

***فن الطاسيلي:**

عبر الفن عن حياة الانسان منذ القدم، وكان ذلك على المساحات المستوية للصخور في الكهوف ، و بواسطة أدوات حجرية ، وتطبيقات لونية طبيعية و بسيطة ، والدليل على ذلك منطقة الطاسيلي "ناجير" الهقار والتي يعود تاريخها إلى أكثر من 8000 سنة ق.م

وتعتبر منطقة الطاسيلي أكبر متحف مفتوح على الهواء إضافة إلى وجود صناعات تقليدية شعبية منتشرة كالعناصر الزخرفية البربرية المتشكلة من خطوط وأشكال هندسية، وتهشيرات وتنقيط موجودة على الأواني الفخارية و الزرابي والحلي والمصنوعات الجلدية، وحتى تزيين البيوت ، ويعتقد أن الفن البربري هو امتداد للفن الطاسيلي القديم وبعدها وصول الفتوحات الإسلامية ، وظهور الزخارف الإسلامية والأندلسية والعثمانية ومن آثارها، سدراته بالقرب من مدينة ورقلة عبارة عن قطع ومنحوتات زخرفية على الجبس وكذلك آثار بجاية وقلعة بني حماد وفي الغرب الجزائري أثار منصورة ومساجد تلمسان وكذلك حي القصبة.[2]

***الحضارة الفينيقية:**

تركت الحضارات المتعاقبة آثارا واضحة فنجد الساميون المعروفين بالفينيقيين، القادمون من الشواطئ السورية، وعمروا الضفة الشمالية الساحلية من الجزائر منذ القرن 11 تحكموا في الحركة البحرية، وأنشئوا موانئ، وصنعوا منسوجات تجارية خاصة بمدينة إيكوسيم (بالجزائر العاصمة) ومدينة سلداي (بجاية) ومدينة انجيجلي(جيجل) ومن مراكزهم التجارية : سوق أهراس، تبسة وبهذه المناطق روجوا بضاعتهم، وأظهروا براعتهم في صناعة الخزف والطين والزجاج وصناعة المنسوجات والأسلحة.

---

[1] بن كروم عائشة- تيكور إيمان، تأثير الفن التشكيلي على فن الجداريات في الجزائر بعد الاستقلال طاهر ووومان – أنموذجا، مرجع سابق، ص10

[2] بتصرف ابرآهم مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988ص8

***المرحلة اليونانية :**

احتلوا شمال إفريقيا لخصوبة أراضيها، وسير الحياة الاقتصادية بها وأسسوا أول مملكة يونانية سنة 431م من أثارها بعض القطع من النقود الفضية والبرونزية، عليها أسماء ملوك، ونقوش رمزية.[1]

***المرحلة الرومانية:**

الرومان أمة آرية منها اللاتينيين والإغريق والغال والاترسك، ونشأت بإيطاليا واستولوا على الجزائر حيث تميزوا بصناعة الأقمشة الغليظة، والمصابيح بشرشال، وعرفت الفنون الجميلة ازدهار الفسيفساء الصادق بخوش والتدليس ونقوش المرمر، وزخرفت الهياكل، وصنع التماثيل وحفر الآبار والسدود لجلب المياه مثل سد الحضنة أعظم قناة أثرية مائية في الجزائر بمدينة شرشال.

***المرحلة البيزنطية:**

عرفت هذه المرحلة بتشييد الكنائس والأسوار، حول المدن شرشال قالمه، تيمقاد، تبسة ولا تزال آثار الفن البيزنطي باقية حيث تأثر العرب المسلمون بالفن البيزنطي حيث استخدموه في نقش وزخرفة مساجدهم وإذا أردنا استعراض تطور الفنون العربية الإسلامية في الجزائر للتعرف على وجه الأصالة فيه فلابد من القول أن هذا الفن الذي ابتدأ وليدا في عهد الأمويين، لم يكن له أن يأخذ مباشرة من أصوله القديمة المتمثلة في فنون الشعوب القديمة بالأخذ من الفنون التي كانت سائدة في منطقة الإسلام الأولى وهي بلاد الشام والعراق، حيث كان الفن البيزنطي في الأول والفن الساساني في الثانية منتشرين، واستطاع الفن الإسلامي أن يتكون مستقلا عن هذين الفنين بسرعة مدهشة، حيث كانت فنون كتابة القرآن الكريم بالخط العربي المصبوغة في أطر من الزخارف الهندسية المتشابكة، إلى جانب تطوير المساجد والجوامع والأحياء الشعبية التي تمثل المادة الرئيسية التي تناولها الفنانون ببراعة وثراء، وكان تحريم التصوير والنحت أثره على الفنانين الجزائريين، الذين استعاضوا عن الصورة بفيض من الأشكال غير البشرية أو الحيوانية، فقد بحث الفنان

[1] مرجع سابق، تأثير الفن التشكيلي على فن الجداريات في الجزائر بعد الاستقلال) طاهر ووومان – أنموذجا ص11

المسلم في أول الأمر عن منفذ لمواهبه الفنية في الأشكال الهندسية، كرر هذه الأشكال ومزجها وأخرج منها مئات التراكيب، واستطاع الفن العربي الإسلامي أن يتكون مستقلا عن الفنون القديمة.

ومنذ أن وطأ المسلمون إلى أرض الجزائر خلال 14 قرنا، حاملين معهم الرسالة السماوية وحضارتهم المستوحاة من الحضارات المتعاقبة على أرض الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق، و من الحضارات العالمية السابقة، فأنشئوا المدن والقصور والمساجد وهي متأثرة بالعصور الإسلامية الأولى وكان الفضل لأجدادنا في نقل الحضارة الإسلامية إلى أرض الأندلس، وقد استخدم العرب في بدأ إقامتهم بإسبانيا مهندسين من الروم ثم لم يلبثوا بعبقريتهم الفنية أن تفوقوا على أولئك المهندسين، وبلغ إيحاؤهم في أمور الزينة مبلغا صار يتعذر معه على أقل الناس دقة أن يخلط مبانيهم بالمباني البيزنطية أبعد أن اعتنقوا الإسلام، وكانت الدول الإسلامية المغاربية في نشأتها الأولى متأثرة بالطرز المعمارية والفنية السائدة بالمشرق العربي والإسلامي ، لكن على مر العصور أصبحت لها خصوصياته.[1]

وجاء الأتراك آخر الأمر، وحملوا معهم عناصر جديدة من الفنون طعموا بها الفنون الإسلامية المعروفة في بلادنا. وقد تركوا آثارا معتبرة، خاصة بالجزائر العاصمة نذكر منها :جامع سفير، وجامع كتشاوة والعديد من القصور المنتشرة بالقصبة نذكر منها قصر عزيزة، قصر خداوج العمياء، قلعة القصبة، وقصر الداي وغيرها من الآثار الإسلامية التي ترجع إلى العهد التركي ، والتي لا يزال البعض منها شامخ إلى يومنا هذا.[2]

[1] تأثير الفن التشكيلي على فن الجداريات في الجزائر بعد الاستقلال) طاهر وومان – أنموذجا، مرجع سابق، ص13-12

[2] ابراهيم مردوخ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها التابع لوزارة الثقافة، 2005 ، ط1، ص18

المطلب الثاني: التأثيرات الخارجية على الفن التشكيلي في الجزائر.

تأثر المستشرقين بالبيئة الجزائرية:

منذ استعمار فرنسا الجزائر سنة 1830م، ظهرت الحركة الاستشراقية في جميع المجالات، وحاولت فرنسا وضع يدها على كل ما هو جزائري وكل ما يخص الثقافة الجزائرية ووضعها تحت تصرف المستشرقين ، والذين بدورهم درسوا وترجموا هذا الإرث والرصيد الثقافي ، وطبيعة المجتمع لإدخاله وإدماجه، تحت راية الدولة المستعمرة ثقافيا واجتماعيا وأصبح المستشرقين يسيطرون على مناصب إدارية حساسة للاستفادة من خبراتهم في النفوذ الاستعماري ، ثم أصبحوا مختصين في جميع العلوم، وزاد نفوذهم و سيطرتهم ونجحت السلطات في توظيف الفنانين المستشرقين، سنة بعد أخرى فتحت مدارس لهذا الاستشراق وأخذ يتجدد و يتطور باستمرار.[1]

وقد تواصلت بعثات الرسامين الفرنسيين إلى الجزائر خلال القرنين 19و 20 ورسخوا مع مجيئهم أصول الرسم الغربي والقيم الجمالية والفنية لمجتمعاتهم، ولأجل ذلك انطلقت في عملية مسح فني شاملة تخص الفنون.

لقد كان حضور الفنانين الفرنسيين إلى الجزائر في بداية الأمر لفترات قليلة ومتقطعة لاستكشاف البلد ورسم انطباعاتهم عليه ، وبعد تقادم الاستعمار بالجزائر بدأت مجموعة منهم في الاستقرار والعمل بالجزائر وفي هذه الفترة ظهر إلى الوجود و برز فنانون فرنسيون أو من أصل أوروبي ولدوا بالجزائر واستقروا بها وبالرغم عن استقرارهم بالجزائر، إلا أن علاقتهم كانت وطيدة بفرنسا، حتى أن رحلاتهم كانت منتظمة إلى فرنسا للاحتكاك بالمدارس الفنية الحديثة، حيث كانت باريس و أوروبا متقدمة في الفنون.[2]

---

[1] بتصرف عفيف بهنسي، الفن الحديث في البلاد العربية، دار الجنوب للنشر تونس، سنة 1980، ص 34-35-36

[2] بتصرف، إعداد ليلى مليحة، موسوعة أعالم الرسم العربي والاجانب ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992،ط1 ص 479

تأثير الاستشراق على الفن التشكيلي الجزائري:

إنشاء فيلا عبد اللّطيف:

تم اقتراح إنشاء مدرسة الجزائر للفنون التشكيلية عبر تقرير وصل إلى الحاكم العام للجزائر، حيث يكون المعمرون هم روادها. وفي سنة1907 تم تحقيق ما كان يصبوا اليه مجموعة الفنانين المستشرقين بفضل قرار من الحاكم العام للجزائر(جونار) الذي لم يمانع في تعيين هذه الفيلا وتخصيصها لإقامة هذا المشروع، أي مشروع إنشاء مدرسة للفنون التشكيلية، رغم مخاوف الفرنسيين من التأثيرات التي كانت موجودة خاصة من جانب الفنانين المتواجدين خارج فرنسا على الفن، وأثر إنشاء هذه المدرسة على الفن الفرنسي فيما بعد.[1]

عقد الملتقى الوطني حول الاستشراق الفرنسي في الجزائر الذي احتضنته جامعة باتنة1 وخرج بعدة معطيات مهمة من ناحية تاريخه وأعلامه وتأثيراته، وفي الوقت الذي أجمع فيه الكثير على انعكاساته السلبية، إلا أن هناك من طالب بالنظر برؤية موضوعية حول بعض المسائل الإيجابية التي خلفها، من خلال عدة نماذج لمستشرقين قدموا خدمات مهمة لتاريخ وتراث الجزائر، وفي مقدمة ذلك الفنان التشكيلي "إيتان ديني" الذي اعتنق الإسلام وأعجب بصحراء الجزائر، حيث حرص الباحثون على التعمق في الاستشراق الذي أخذ عدة أبعاد ودلالات، وامتزجت فيه النزعة العدوانية والإيديولوجية بالتطرف الديني، مثلما استغله الاستعمار الفرنسي كأداة لاكتشاف الجزائر والتوسع عسكري، مثلما كان للاستشراق حسب بعض المتدخلين بعد ايجابي، خاصة وأنه ترك دراسات مهمة تخص تاريخ وموروث الجزائر. كان للاستشراق في بعده الإيجابي نصيب في بعض المداخلات. [2]

---

[1] بتصرف خالدي محمد، المستشرقين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر ، مقال منشور بمجلة الأثر جامعة ورقلة، مارس 2012 ص124

[2] مخبر المجموعة الجزائرية الميسرة، ملتقى الوطني حول الاستشراق الفرنسي في الجزائر، جامعة باتنة1 echoroukonline.com

المطلب الثالث: أهمية و دور التصوير الجداري في المجتمع الجزائري.

تقدم الجدارية جمالا يحمل تراث الشعوب، أفكارها وتاريخها على مر العصور، إذاً فإنها تعرض وتقدم رسالة ثقافية من ناحية، ومن ناحية أخرى رسالة جمالية تخطف الأنظار ذات الذوق الرفيع، كما تمثل الجداريات عمل من ضمن الأعمال التوثيقية التي تتناول عبق الماضي وأصالته، وتتحدث عن الحاضر بكل معانيه، ولا تغفل عن ذكر المستقبل؛ ومن أمثلتها الجداريات الفرعونية الرائعة، الجداريات الإغريقية، والجداريات الرومانية.[1]

ويصور الفن الجداري نشاطات شعب وثقافة وحضارة، حاملا في الوقت ذاته هواجس الفنان وتطلعاته وأفكاره، ليختزل لحظة من الزمن من خلال مشهد جداري يحاكي قضية ما.

وتطور الرسم الجداري مع تطور الأدوات والخامات، لينتقل إلى المعابد والمساجد والكنائس والمقابر والقصور والقلاع، ويصبح جزءا مهما من التراث الإنساني.

وانتقل الفن الجداري لاحقا إلى الهندسة المعمارية والديكور المنزلي، محققا غاية التجميل والاهتمام بالتفاصيل الفنية وإضفاء لمسة مميزة على الأثاث والجدران والأسقف. ودخل الفن الجداري كثيرا من المنازل والمقاهي ومراكز الطب والتجميل والجمعيات والشركات، لنقل صورة معينة عن اختصاص المؤسسة.

واستُخدِم كذلك في مرحلة من المراحل لتغطية العيوب وتجميل الخراب، وتحويل الحائط المنزوع بالبقع و الخربشات العشوائية إلى رسومات معينة جميلة، تحسن من مظهر الشوارع وفوضى الجدران.

وتندرج الجداريات ضمن علم العلامات (السيمولوجيا) القائم على اعتبار أن التواصل بين البشر يرتكز على مجموعة من العلامات والرموز ودلالاتها. فاللغة المنطوقة مثلا، ماهي إلا مجموعات من الأصوات، تجتمع لتؤلف كلمات ذات دلالات اصطلاحية.

[1] Almersal.com

كما أن هناك طائفة أخرى من نظم التواصل، يصدق عليها ما يصدق على اللغة، فهي تتكون من علامات اصطلاحية متفق عليها بين مجموعة بشرية معينة. قال الفنان المصري محمد أبو الحمايل، في حديث لـ "إرم نيوز"، إن "الفن بصورة عامة ينقل رسائل مبطنة، أو لمسات جمالية، وريشة الفنان وألوانه كفيلة تماما في عكس صورة جمالية وإنسانية للمجتمع".[1]

***تجسيد قضية:**

وكمثال تجسيد صريح لقضية التزام الفن، انتشرت مؤخرا و خصوصا بعد الحروب العالمية و العصور المظلمة، آلاف الجداريات دعما لقضيتهم الوطنية، ورفضا للعنصرية و الجداريات السياسية الحاملة لقضايا سياسية واجتماعية و اقتصادية أحيانا، وجسد فنانون وجهة نظرهم برسومات تحمل رسائل ملتزمة على مساحات الجدار.[2]

[1] eremnews.com

[2] بتصرف eremnews.Com

المبحث الثاني: السيراميك وفن الجداريات.

المطلب الأول: فن السيراميك (الخزف).

- **تعريف الخزف:**

الخزف هو زينة مصنوعة من المواد غير العضوية، غير المعدنية، صلبة وهشة (بعد أن يوضع بالنار)، مرن جدا في وضعه الطبيعي، يُنتج بها العديد من الأشياء مثل الأواني الفخارية والتماثيل الزخرفية. كما أنها تستخدم في الطلاءات المقاومة للحرارة العالية ولذلك لخصائصه الكيميائية والفيزيائية وارتفاع درجة انصهاره. عادة لون الخزف أبيض، يمكن مزجه بمواد مختلفة وملونة. الفخاريات عادة ما تتألف من مواد مختلفة : الطين، والفلسبار، رمل، أكسيد الحديد و الألومنيا والكوارتز. الخزف هو الطين المزجج و المفخور. يرجع تاريخ الخزف إلى أقدم العصور. في الوقت الحاضر أصبح الخزف من أحد الفنون التشكيلية. وأما الاسم الآخر له (خزف) وهو فن إسلامي قديم وأما بالغة السنسكريتية فاسمه (كيراموس). فن الخزف من أقدم الحرف والفنون في تاريخ البشرية

اسم خزف اسم إغريقي مأخوذ من كلمة كيراميكوس أي صانع الفخار وأعظم ما أنتج في فنون الفخار والخزف هو ما أنتجته الحضارة الإسلامية لتعدد البلدان التي ضمتها هذه الحضارة وتنوع الأساليب والتقنيات التي عرفها صانعو الفخار في ظل الإمبراطورية الإسلامية. تسمى أيضاً بالمواد المتصلبة حرارياً أو المواد الغضارية. يعود الاختلاف في التسمية إلى الترجمة المصطلحة لكلمة ceramics الأجنبية. هذه المواد هي عبارة عن أكاسيد لمعادن، وتعتبر المواد الزجاجية حالة خاصة من المواد الخزفية.[1]

- **أنواع الخزف أو السيراميك:**

*** من حيث امتصاص الماء:**

يقسم السيراميك بشكل عام إلى نوعين كالآتي:

[1] wikipedia.org

السيراميك قليل الامتصاص للماء: تكون مسامات سطحه مغلقة لمنع تسرب الرطوبة للداخل وهو مناسب جداً للأماكن التي تتعرض للرطوبة بشكل مستمر لذا يصلح هذا النوع لأن يكون سيراميك حمامات ومطابخ ومن عيوبه انتقال الصوت بشكلٍ واضح من خلاله.

السيراميك عالي الامتصاص للماء: تكون مسامات سطحه واسعة وهو مناسب جداً الغرف والممرات إذ يمنع هذا النوع انتقال الصوت من خلاله.

*أنواع السيراميك من حيث الملمس:

السيراميك اللامع أو المصقول: يفضل الكثيرون هذا النوع من السيراميك لأنه سهل التنظيف وغير قابل للخدش ويعطي منظراً.

السيراميك معتدل اللمعان: يعتبر من أفضل الأنواع من حيث سهولة التنظيف وإمكانية استخدامه في جميع الأماكن.

السيراميك الخشن (ذو النقوش البارزة): يوفر هذا النوع جواً من الأناقة في المكان إلا أن تنظيفه يعتبر صعباً وذلك لسهولة التصاق الدهون والغبار به.[1]

- **الجدارية الخزفية:**

الجدارية الخزفية هي أي عمل جداري استخدمت فيه الطينات الخزفية المختلفة كوسيط تشكيلي سواء كانت تلك الطينات بمفردها أو مندمجة مع خامات أخرى وتكون مطبقة مباشرة على الجدار أو السقف أو غيرها بحيث تكون في انسجام تام مع العناصر المعمارية المكونة للمكان سواء كان داخلي أو خارجي.[2]

وقد استثمر الفنانين كل معطيات التكنولوجيا وتوظيفها في الجداريات الخزفية عبر مراحل تاريخ الفن المختلفة، وذلك نظراً لطبيعة الفن وارتباطه بالثقافة المعاصرة، وقد اتضح ذلك بصورة جلية وواضحة في فنون ما بعد الحداثة لما واكبته من تتطور تكنولوجي في الوسائط المتعددة من الخامات والأدوات المختلفة ،مما جعل الجداريات الخزفية تدخل في كثير من الاتجاهات الفنية في لفنون المعاصرة وتختلف الجدارية الخزفية عن باقي الجداريات الأخرى

[1] Bayut.com

[2] ا. ولاء جمال أنور، المجلة المصرية للدراسات المتخصصة - العدد 24 أكتوبر2019، ص261

من حيث خامات التشكيل ومدى مقاومة تلك الخامات وعوامل التعرية والامكانيات التشكيلية الغير محدودة لخامات الطين بأنواعه المختلفة المقاومة للاحتكاك والتنوع الهائل في طرق التشكيل والصياغة.[1]

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في تصميم وتنفيذ الجدارية الخزفية.

- **التصميم الجداري المعاصر:**

تعتبر عملية التصميم للجدارية هي أولى الخطوات الهامه فوفقا لهذا التصميم يحدد الفنان التقنيات والخامات والمضامين والمفاهيم حسب طبيعة التصميم المقترح والهدف منه وأيضا يتدخل مكان الجدارية سواء داخلية أو خارجية مع عوامل أخرى في توزيع العناصر داخل العمل وفى توزيع الضوء .

- **البيئة:**

يرتبط العمل الجداري بشكل مباشر بالبيئة يؤثر فيها ويتأثر بها والبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان وتنقسم إلى طبيعية وحضارية وقد أسهمت النواحي العلمية في الاستفادة من عوامل وعناصر البيئة في عمليات جديدة ومتنوعة مثل استخدام الماء والضوء والحركة الفعلية في الجداريات الخزفية المعاصرة .

- **الضوء:**

يعد الضوء من أهم العوامل المؤثرة على الجدارية المعاصرة وارتباطها بشكل مباشر بالعمارة وينقسم إلى إضاءة طبيعية وإضاءة صناعية كما أن للضوء خصائص استغلها الفنان المعاصر لإبراز عمله الجداري ومنها الانعكاس والانكسار وأيضا الامتصاص على الأسطح المعتمة حيث اعتبر الضوء لغة تشكيلية تضاف إلى الجوانب الأخرى في العمل

[1] ا. ولاء جمال انور، المجلة المصرية للدراسات المتخصصة، المرجع نفسه ،ص262-263

الفني "فالتأثيرات السيكولوجية المتعددة مثل البهجة والغموض والإثارة أو الكآبة وغيرها يمكن إبرازها عن طريق الوسائل التكنيكية للإضاءة الملائمة "[1]

- **الخامة:**

أصبح التوليف ما بين الخامات من أهم السمات المميزة في الجدارية المعاصرة ومنها عناصر تتداخل في المسطح الأصلي للجدارية أو الجدار في نسيج واحد بحيث لا يمكن فصلها غير أنها ممكن أن تبرز أو تختلف عن مسطح العمل وتتمايز مع استمرار تجانسها وترابطها مع العمل الجداري بصوره كلية وتكون تلك الخامات خزفية أو غير خزفية.

- **المشاهد:**

اهتم الفنان المعاصر بالمشاهد بشكل مباشر وقد راعى الجوانب النفسية والسيكولوجية والدينية والمستوى العلمي والثقافي للمشاهد كون العمل الجداري رسالة والمشاهد مستقبل لها وهو أساس البيئة الحضارية وتتكون البيئة الحضارية من عدة منظومات متكاملة وسياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية وأخلاقية وثقافية وتعليمية وتكنولوجية وعمرانية ويرتبط كل منها بنظم مختلفة تشكلت على مر العصور بفعل وبفكر الإنسان.

- **المناخ البيئي:**

من حيث تأثير الأمطار والرياح والإضاءة والشمس.

- **الطراز المعماري للمبنى وارتباط تصميم الجدارية به:**

"الطرز المعمارية هي النمط و الأسلوب في صياغة الكتلة والفراغ المعماري سواء من الناحية التشكيلية أو الوظيفية. الطراز المعماري هو جملة الملامح المميزة لكل كتلة و فراغ يحيط بها، الملامح التي تكسب الشخصية للكتلة و محيطها و التي تميزها عن غيرها." ويجب على

[1] المرجع نفسه ص287

مصمم الجدارية أن يكون على دراية تامة بمدى ملائمة العمل الجداري للطراز المعماري للمبنى.[1]

- وظيفه المبنى (إداري- سكني- مستشفى- بنك- وزارة- نادي- رياضي- تعليمي .....الخ)

حيث أن دور الأعمال الجدارية في المجتمع هو نقل قيم وعناصر العمل الفني التشكيلي إلى مناطق ومساحات دائمه التواصل بالجماهير العريضة للتفاعل مع الواقع المعاش والمرئي في المدينة ومع مختلف الرؤى التي تستقبل هذه الأعمال على امتداد الزمن وهى توثيق للمجتمع وتسجيل لاهتماماته الشعورية ،وهي دعوة للمشاركة و للتواصل الروحي من خلال ما تطرحه من قيم تعبير وموضوعات وبذلك أصبحت الجدارية أكثر ارتباطا بقضايا المجتمع.

يمكن للوحة الجدارية أن تروي حكاية، أو تمثل فكرة، أو تصور معركة خالدة في حياة الشعوب والأمم، أو تؤرخ لحدث بارز، أو تقدم معلومة هامة، كما يمكن أن تكون عنصراً تزيينياً جمالياً بحتاً على هذا الأساس، فإن للوحات الجدارية أصولها ومقوماتها وشروطها التي يجب أن تتوفر فيها وفي مكان وجودها. مثلها في ذلك مثل النصب التذكارية والأعمال النحتية الساكنة في مرافق المدن، والداخلة في تنظيمها. من ذلك انسجام حجمها أو مساحتها مع الفراغ المحيط بها، وتوافق شكلها ومضمونها مع الوظيفة المناطة بالبناء الذي احتضنها، أو المكان الذي حلت فيه، وملاءمة تقنياتها للمناخ الموجودة فيه (بحري، صحراوي، بارد، حار) وإمكانية مشاهدتها من قبل المارة، بيسر وسهولة، وإحاطة العين بأبعادها وتفاصيلها ومضامينها دون عناء.[2]

[1] مرجع نفسه، ص288

[2] بتصرف، ا. ولاء جمال انور، المجلة المصرية للدراسات المتخصصة، ص289

المطلب الثالث: تحليل أنموذج لجدارية سيراميك.

جدارية : معركة سوق أهراس الكبرى.

جدارية معركة سوق أهراس الكبرى، ألوان سيراميك على بلاط السيراميك

في القرون الحديثة أصبحت الجداريات عنصرا تعبيريا لمعانات الشعب الجزائري من اضطهاد و تعب نفسي وعقد خلفها الاستعمار الفرنسي فأصبح الفنان الجزائري يطمح للتعبير و إظهار انتفاضة الشعب و وقوف الشهداء كالجبال في وجوه المستعمر للحفاظ على وطنهم و ترابهم فوضعوا جداريات في كل الأماكن لمساندة الثورة و للتفاخر بها و بالمجاهدين والشهداء و من بين هاته الجداريات نذكر جدارية (معركة سوق أهراس الكبرى).

في هذه الدراسة سنحاول قراءة جدارية (معركة سوق أهراس الكبرى).

باعتبارها بنية قابلة للتحليل و القراءة النقدية. وهذه البنية هي الخطوط والأشكال والألوان، ومن خلال هذه اللغة يمكن الإجابة عن السؤال الحاسم وهو ما إذا كان الفن قادرا على الاغتناء بأشكال الثقافات الاخرى.

السياق التاريخي للوحة:

معركة سوق أهراس الكبرى مجموعة من العمليات العسكرية بدأت بشكل رئيسي على الحدود الجزائرية التونسية خلال الحرب الجزائرية، من 21 يناير إلى 28 مايو 1958، من وحدات المظليين من الجيش الفرنسي .من خط موريس من مقاتلي جيش التحرير الوطني الجزائري، الفرع العسكري لجبهة التحرير الوطني الجزائرية.

من أكبر المعارك التي عرفتها ثورة التحرير الجزائرية، من حيث عدد الجنود، والأسلحة و العتاد الذي استخدمه الاستعمار الفرنسي ضد المجاهدين.

الأسلحة التي استخدمت في هذه المعركة التي وقعت وسط سلاسل جبلية كثيفة وأودية صعبة الاجتياز بتاريخ 26 أبريل 1958، تعادل واحدة من أضخم معارك الحرب العالمية الثانية"، اتضح أن المستعمر الفرنسي استخدم في هذه المعركة الفيلق الـ9 والـ14 للمظليين، الفيلق 8 و28 للمدفعية بعيدة المدى والفيلق 26 و151 و152 مشاة ميكانيكية.

كما أن هذه الوحدات لها تاريخ عسكري ومن أشرس الفرق العسكرية الفرنسية التي شاركت في الحربين العالميتين الأولى والثانية وحرب الهند الصينية.

وتعد هذه المعركة أم المعارك وأم الشهداء لأنها معركة المواجهة والتحدي والاصطدام مع العدو الفرنسي إلى درجة الالتحام حيث كان المجاهد الواحد وقتها يواجه 10 عساكر من فريق العدو مدججين بأحدث الأسلحة وترسانة الحلف الأطلسي في أراضي سهلية لا قلاع حصينة فيها تحمي المجاهدين ولا صخور عظيمة تقيهم من شظايا القنابل وعبوات مدافع الميدان الجهنمية.

ووقعت هذه المعركة التي استمرت أسبوعا كاملا، يوم 26 أبريل 1958 انطلاقا من منطقة "ويلان" بالقرب من سوق أهراس لتتوسع إلى أعالي حمام النبائل (قالمة) المجاورة لتبقى بذلك مسجلة بكل افتخار في ذاكرة من عايشوا أحداثها من مجاهدين ومواطنين.

وحدات جيش التحرير الوطني كانت مؤلفة من الفيلق الرابع بقيادة المجاهد الراحل محمد لخضر سيرين ونوابه أحمد درايعية ويوسف لطرش وكتائب أخرى كانت متجهة إلى الداخل لإمداد الولايات الداخلية بالسلاح منها كتيبة متجهة إلى منطقة الطاهير (جيجل) وميلة وسكيكدة.

جسدت معركة سوق أهراس الكبرى المعنى الأمثل للوحدة الوطنية والتلاحم بين الشعب الجزائري وحطمت كبرياء فرنسا الاستعمارية. ومن خلال شهادات مؤرخين ومجاهدين و تقارير فرنسية، يتبين أن المعركة اندلعت إثر حصول العدو الفرنسي على معلومات مؤكدة عن انطلاق قافلة أسلحة وذخيرة حربية من سوق الأربعاء (تونس) لاختراق الخط المكهرب (موريس) والعبور إلى المنطقة الشرقية للبلاد لينصب العدو كمائن وينقل حشوده إلى المناطق الجبلية التي سيعبر منها المجاهدون خاصة في أعالي جبل بوصالح قرب الزعرورية عند سفوح وادي الشوك (سوق أهراس) الذي كان مسرحا رئيسيا لمجريات هذه المعركة التي امتدت إلى حمام النبائل و الدهوارة (قالمة) بقطر يزيد عن 50 كلم.

وكانت هذه القافلة المكونة من الفيلق الرابع بقيادة المجاهد الراحل محمد لخضر سيرين ونائبيه، يوسف لطرش وأحمد دراية، وكتيبتين اثنتين من الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) وكتيبة من الولاية الثالثة، لم تكن ذات مهمة قتالية بل كلفت بالحماية والدعم لنقل وعبور الأسلحة والعتاد الحربي من تونس إلى الولايتين المذكورتين حيث اكتشف أمرها يوم 26 أبريل 1958 لتندلع المعركة في منطقة وادي الشوك بالزعرورية وسط تضاريس صعبة حيث وبعد أسبوع كامل من المعارك، تسلل المجاهدون وتحولوا إلى جبال المشروحة ثم إلى الدهوارة بقالمة حيث تواصلت هناك اشتباكات بين المجاهدين وقوات الاستعمار إلى غاية 2 مايو 1958 .

ويعود اندلاع هذه المعركة التي سقط خلالها 639 شهيدا من مختلف مناطق البلاد وقتل خلالها مالا يقل عن 300 من جنود الاستعمار وجرح 700، إلى عبور قافلة محملة بالسلاح

والمراقبة المستمرة من طرف الاستعمار على الأشرطة الجبلية و الممرات إلى جانب إرسال قوات من طرف قيادة الثورة لربط الاتصال وحماية القوافل الناقلة للسلاح إلى جيش التحرير قبل أن يتم اكتشاف أمرها من طرف العدو. وكذلك عبور أعداد أخرى من المجاهدين لخط موريس المكهرب واشتباكها مع الجيش الفرنسي قرب مدينة سوق أهراس، ف المعركة شرسة وعنيفة وصلت إلى حد الالتحام بالسلاح الأبيض.

ولم تفهم قوات الجيش الفرنسي التي كانت حاضرة وقتها في تلك المعركة ما الذي يحصل في هذا العبور، وفق شهادات أدلى بها كل من الرقيب لاصن والملازم صابور و اللذين كانا تحت قيادة النقيب سارج بومو وهو ضابط مظلي فرنسي قتل في هذه المعركة رفقة 32 من عساكره.

وذكرت بعض الشهادات التي أدلى بها عساكر و قياد المستعمر: "لقد وقعنا في فخ العدو (المجاهدين) الذين كانوا أكثر عددا ومجهزين بالأسلحة. إنهم الفيالقة الذين كانوا مختبئين بين الأشجار الغابية"، حسب الأستاذ ورتي الذي أشار إلى أن هذه الملحمة برهنت لفرنسا الاستعمارية بأن جيشها لم يكن يواجه جماعات من المتمردين، بل جيش للتحرير الوطني، واصفا المعركة بأنها صورة من صور تلاحم الشعب الجزائري ومقاومة المحتل.

بطاقة فنية للوحة:

الفنان: غراري عبد الرزاق

عنوان اللوحة: معركة سوق أهراس الكبرى

السنة: 2023

الخامات و الحامل: ألوان سيراميك على بلاط السيراميك.

الوصف البصري:

اللوحة عبارة عن منظر لأحد جبال أراضي سهلية شرق الجزائر بمحاذاة تونس في فترة النهار حيث تواجدت الإضاءة عبرت عن تفاصيل معركة و اصطدامات حدثت بين الجيش الفرنسي المستعمر و جماعات فيالقة من جيش و جبهة التحرير الوطني توحي اللوحة بالطابع التاريخي .

في الجانب السفلي من اللوحة جسدت مجموعة من الجثث المتناثرة و الدماء في كل مكان و تواجد بعض المجاهدين بينهم حاملين الأسلحة و يطلقون النيران نحو العدو من الجهة الثانية.

في الجزء العلوي من الصورة توجد دبابات وسط الجبال والتي سببت انفجارات في كل مكان ظهر دخانها بقوة و شظاياها كما تواجد في الصورة سلك يقطع بين منطقتين و هو السلك المكهرب الفرنسي موريس. تظهر الجبال خالية من الصخور والأشجار. اللوحة تعطي انطباعا بالعشوائية مما يعطي للمشاهد تصورا حركيا.

المنظر:

المنظر أفقي، النظر إلى الأشياء يبدو طبيعيا.

التركيب:

الخطوط مستقيمة ومائلة و المتدرجة، الأفقية و العمودية تكررت في السلك و الخطوط المتدرجة تمثلت في الجبال أعلى الصورة.

اما التكرار فكان في الأشخاص وكذلك الأسلحة و المدفعيات.

التقابلات:

يوجد تقابلات بين الجثث النائمة على الأرض و الأشخاص الواقفين

تقابلت بين الأشخاص قبل السلك والأشخاص بعد السلك الذي يعتبر خط التقابل

تقابلات الألوان الباردة و الترابية

تقابلات بين الإضاءة و العتمة

التحليل الأكونوغرافي:

في اللوحة الأشخاص الواقعة أجسامهم على الأرض لا يقومون بأي حركة و شكلهم يوحي بذلك أما الأشخاص الواقفين فيتحركون نحو السلك الموجود على يمين اللوحة و بالتناظر أشخاص أخرون يتحركون نحو السلك في المنطقة المقابلة و كذلك المدفعيات تظهر حركتها حركاتهم توحي نوعا ما على الجري و محاولة الاختباء باقترابهم من الأرض و قعمزتهم.

انحصرت ألوان ألبسة الأشخاص بين الأخضر و الأزرق.

الضوء واللون:

الألوان هي ألوان باردة غلب عليها تدرجات الأزرق و الأخضر، وكذلك تواجد الألوان الترابية والرمادي بكثرة و بعض اللمسات من البرتقالي و الأحمر أما عن الإضاءة فكانت طبيعية اتجاهها من فوق و تظهر بوضوح في وسط وأعلى الصورة أما في الأسفل فيتوفر بعض من العتمة، ليس مبالغ في ألوانها ولا في تجسيدها.

موضوع اللوحة:

للوحة والعنوان علاقة مباشرة مع المضمون لأن اللوحة تجسد تفاصيل المعركة التي ذكر اسمها في العنوان، وهي تعبر عن واقع عاشه الجزائريون في حقبة زمنية مضت.

الخاتمة :

ليست خاتمتنا مجرد حوصلة لما فات ذكره أعلاه، بل هي أيضا إجابات موافقة لما سطّرناه سابقا من فرضيات أجابت عن إشكالية الدراسة الرئيسة وما انبثق عنها من تساؤلات فرعية.

حيث أن التصوير الجداري تكوّن مع الإنسان البدائي و تطور مع تطوره و تطور معارفه فكان له المعبر و المتنفس الوحيد و الطريق الذي عرّفنا اليوم بحياته و وجوده فرسم و تفنن و صور طبيعة حياته بآلات و مواد بسيطة جعلت منه أول مصمم جداريات و من خلال بحثنا هذا حاولنا أن نعطي فكرة شمولية عن تاريخ التصوير عبر الحضارات وتطوره وسلطنا الضوء على التصوير في الجزائر وتأثره في مرحة الاستعمار والحروب مما جعله يتغير و يغير من جوهره، ثم خصصنا قسما لدراسة فن السيراميك والذي يعد فنا أصيلا ابتعد عنه الجيل الجديد وغض عنه النظر، بالرغم من أبعاده الجمالية والتعبيرية وبخاصة ما يحمله من خصوصيات تعكس الهوية المحلية في اختيار السيراميك كرمز يمثل الثقافة العربية بالبيوت والفضاءات العامة من خلال اللوحات الجدارية التي تخلد التاريخ وتعالج مختلف القضايا الإنسانية.

قائمة المصادر و المراجع

➢ المصادر

- ليلى مليحة، موسوعة أعالم الرسم العربي والأجانب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، طبعة1

➢ المراجع

أ. الكتب العربية:

- ابراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دار هومة، الجزائر، 2007
- ابراهيم مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988
- ابراهيم مردوخ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها التابع لوزارة الثقافة، 2005، طبعة1
- أحمد تيمور باشا، التصوير عند العرب، هلا للنشر و التوزيع، الجيزة مصر، 2002، طبعة1
- بدر الدين اوغازي، رواد الفن التشكيلي، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة مصر، 2002، طبعة1
- حسن بوساحة، تاريخ الفن، أوراق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، طبعة1
- عفيف بهنسي، الفن الحديث في البلاد العربية، دار الجنوب للنشر تونس،1980
- عفيف بهنسي، تاريخ الفن والعمارة، دار الشروق-نبيل طعمه،2002، الجزء1، طبعة1
- مؤلف من طرف متحف بلا حدود، اكتشف الفن الإسلامي في حوض المتوسط، المؤسسة العربية للدراسات و النشر
- منى مصطفى عليوة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2021، طبعة1
- نصر الدين بن الطيب، تاريخ الفن، منشورات الريشة الحرة، وهران الجزائر، 2008، طبعة1

ب. ***الرسائل و الأطروحات:***

- بن كروم عائشة-تيكور إيمان، تأثير الفن التشكيلي على فن الجداريات في الجزائر بعد الاستقلال (طاهر ووومان-أنموذجا) مذكرة ماستر، قسم الفنون، جامعة مستغانم، 2021
- سحري يوسف قدح، تقنيات التصوير الجداري و الاستفادة منها في تنفيذ الجداريات المستمدة من التراث الشعبي السعودي، رسالة ماجستير في التربية الفنية، جامعة أم القرى، 2006

ت. ***المجلات :***

- خالدي محمد، المستشرقين وأثرهم الفكري و الفني في الجزائر، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، مارس2012
- خوجلي خالد-خوجلي ابراهيم وآخرون، تقنيات التصوير الجداري، كلية الفنون الجميلة، جامعة السودان، 2016، مجلة العلوم الانسانية
- سحر شمس الدين محمد محمود، فن التصوير الجداري الفنية الزجاجية المعاصرة، مجلة العمارة و الفنون، عدد8
- سلوى محسن حمد عبد الغني، جماليات رموز البيئة في الفن الجداري المعاصر، مجلة جامعة بابل، الجلد24، العدد4، 2016
- مخبر المجموعة الجزائرية الميسرة، ملتقى الوطني حول الاستشراق الفرنسي في الجزائر، جامعة باتنة،echoroukonline.com
- منى حيدر علي، تقنيات التصوير الجداري، مجلة الأكاديمي، سبتمبر2019، العدد93
- ولاء جمال نور، المجلة المصرية للدراسات المتخصصة، اكتوبر2019، العدد24

ث. ***المواقع الإلكترونية:***

https://Alarabi.nccal.gov.kw

https:// Aljazeera.net

https:// Almersal.com

https://Ar.m.wikipedia.org

https://Ar.warbletoncouncil.org

https://Azima.org

https://Bayat.com

https://elakademiapost.com

https://eremnews.com

https://esta-edu4.yoo7.com

https://Hadaarah.com

https://kachaf.com

https:/mawdoo3.com

https://m.ahewar.org

https:// m.marefa.org

https://sayidaty.net

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم..... Erreur ! Signet non défini.

إهداء ..... ب

شكر وتقدير ..... ج

مقدمة:..... 1

تاريخ التصوير الجداري..... 5

المبحث الأول: البدايات الأولى لفن التصوير الجداري..... 7

المطلب الأول: نبذة عن بدايات الفن الجداري..... 7

المطلب الثاني : انواع الجداريات 13

المطلب الثالث : تقنيات التصوير الجداري..... 14

المبحث الثاني : الفن الجداري عبر العصور 20

المطلب الأول : التصوير الجداري المصري 20

المطلب الثاني : التصوير في بلاد الرافدين 25

المطلب الثالث : العصر الاسلامي 36

المبحث الثالث : اشهر رسامي الجداريات..... 42

المطلب الأول :فناني الغرب 42

المطلب الثاني: فنانين جزائريين..... 49

جماليات فن التصوير الجدار..... 54

المبحث الاول: جماليات فن التصوير الجداري..... 55

المطلب الاول: البدايات الاولى للتصوير الجداري في الجزائر 55

المطلب الثاني: التأثيرات الخارجية على الفن التشكيلي في الجزائر 61

المطلب الثالث: اهمية و دور التصوير الجداري في المجتمع الجزائري..... 63

المبحث الثاني: السيراميك وفن الجداريات 65

المطلب الاول: فن السيراميك (الخزف)..... 65

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في تصميم وتنفيذ الجدارية الخزفية..... 67

تحليل انموذج جدارية سيراميك..... 70

الخاتمة :..... 76

قائمة المصادر و المراجع: 77

ملخص:

تسلّط هذه الدراسة الضوء على فن التصوير الجداري بالجزائر عبر مختلف الحقب الزمنية، وكذلك مختلف التغييرات التي طرقت على أساليبه الفنية وصولا إلى نقل هذا الفن إلى حامل جداري آخر وهو السيراميك، حيث ركّز البحث على الأبعاد الجمالية والتعبيرية فيه، والتعبيرية وبخاصة ما يحمله من خصوصيات تعكس الهوية المحلية في اختيار السيراميك كرمز يمثل الثقافة العربية بالبيوت والفضاءات العامة من خلال اللوحات الجدارية التي تخلد التاريخ وتعالج مختلف القضايا الإنسانية، حيث صار فن التصوير الجداري على السيراميك سمة يتميّز بها الفن التشكيلي الجزائري وبالأخص من خلال موضوعاته وتقنيته وأبعاده الجمالية.

الكلمات المفتاحية: **فن التصوير الجداري، الأبعاد الجمالية، جداريات السيراميك.**

Abstract:

This study sheds light on the art of mural painting in Algeria through different periods of time, as well as the various changes that have affected its artistic methods leading to the transfer of this art to another wall carrier, which is ceramics. The local identity in choosing ceramics as a symbol that represents Arab culture in homes and public spaces through wall paintings that perpetuate history and address various human issues, as the art of mural painting on ceramics has become a feature that characterizes Algerian plastic art, especially through its themes, technique and aesthetic dimensions.

Keywords: **Mural art, aesthetic dimensions, ceramic murals.**